المجلد السابع والعشرون للعام ٢٠٢٣م
حولية كلية اللغة العربية للبنين بجرجا

لغة القرآن الكريم في سورة التكوير:
دراسة لغوية تطبيقية على تجويد الشيخ عبد الباسط

The language of the Holy Qur'an in Surat Al-Takwir :
An applied linguistic study
on the intonation of Sheikh Abdul Basit.

بقلم الدكتورة

عائشة سالم محمد يوسف

مدرس أصول اللغة ، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات
مدينة السادات ، جامعة الأزهر ، جمهورية مصر العربية .

العدد الثاني (إصدار ديسمبر ٢٠٢٣م)

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٢٠٢٣/٦٩٤٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

لغة القرآن الكريم في سورة التكوير
دراسة لغوية تطبيقية على تجويد الشيخ عبد الباسط

عائشة سالم محمد يوسف

قسم أصول اللغة ، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات ، مدينة السادات ، جامعة الأزهر ، جمهورية مصر العربية .

البريد الإلكتروني : Aeshasalem.419@azhar.edu.eg

الملخص

لا شك أن تكاتف بنية النص التوقيفية مع فاعلية الخطاب المكتسب من الأداء يزيد النص القرآني جمالًا صوتيًا من شأنه أن يُدخل المعنى إلى القلب؛ لأن الأذن ترتاح إليه ، وتتمتع بسماعه ، وهذا البحث بعنوان "لغة القرآن الكريم في سورة التكوير دراسة لغوية تطبيقية على تجويد الشيخ عبد الباسط"، يهدف إلى دراسة النص القرآني المتمثل في سورة (التكوير) على المستوى (الصوتي ، والصرفي ، والتركيبي) ، وكذلك دراسة الخطاب القرآني على المستوى الأدائي، أي على الجانب المكتوب والجانب المنطوق ؛ ليكون محاولة للكشف عن (لغة القرآن) في هذه السورة.

وقد انتظم هذا البحث في: مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، وقد توصل البحث إلى عدة نتائج منها :

ـ تميزت اللغة الصوتية للقرآن الكريم على مستوى (سورة التكوير) بانتقاء الأصوات التي تتفق مع دلالة السورة، وإذا كانت أغلب موضوعات هذه السورة تدور حول مشاهد يوم القيامة بشدتها وأهوالها كان لزاما أن يناسب هذه المشاهد صوت (الهمزة) الذي ورد في هذه السورة المباركة (أربعًا وثلاثين) مرة.

ـ أما عن لغة الخطاب القرآني الأدائي في سورة التكوير فإن الشيخ (عبد الباسط) قد أبدع وتفنن في أداء هذه السورة بمشاهدها أيما إبداع وتفنن؛ حيث يمكن القول إن أداءه يعد أنموذجا متبعًا ، وهذا يفسر اختصاصه بطريقة فريدة لأداء هذه السورة عن جدارة ؛ حيث إنه عايش المشاهد ونقلها أمام المتلقي ، وهذا لا يتأتى إلا عن طريق فهمه للنص القرآني وأدائه له كما ينبغي.

الكلمات المفتاحية: لغة القرآن الكريم ، سورة التكوير ، برنامج برات ، التحليل الصوتي ، الملامح الأدائية .

The language of the Holy Qur'an in Surat Al-Takwir: An applied linguistic study on the intonation of Sheikh Abdul Basit.

Aisha Salem Muhammad Youssef
Department of Language Fundamentals, College of Islamic and Arab Studies for Girls, Sadat City, Al-Azhar University, Arab Republic of Egypt.
Email: Aeshasalem.419@azhar.edu.eg

Abstract

Undoubtedly, the synergy of the text's endowment structure with the effectiveness of the discourse gained from performance increases the Qur'anic text with a phonetic beauty that would bring meaning to the heart; Because the ear is comfortable with it, and enjoys listening to it, and this research is entitled The Language of the Noble Qur'an in Surat Al-Takwir, an applied linguistic study on the intonation of Sheikh Abdul Basit. Qur'anic on the performative level, that is, on the written side and the spoken side; to be an attempt to reveal (the language of the Qur'an) in this surah.

This research was organized into an introduction, a preface, two chapters and a conclusion, and the research reached several results, including:

The phonetic language of the Noble Qur'an at the level of (Surat Al-Takwir) was distinguished by the selection of sounds that agree with the meaning of the surah, and if most of the topics of this surah revolve around scenes of the Day of Resurrection with their intensity and horror, it was necessary for these scenes to fit the sound of (hamza) which was mentioned in this blessed surah. thirty-four times.

As for the language of the Quranic performative discourse in Surat Al-Takwir, Sheikh (Abdul Basit) has excelled and mastered the performance of this surah with its scenes, so creative and artistic. Where it can be said that his performance is a model to be followed, and this explains his specialization in a unique way to perform this surah on merit; As he lived the scenes and transmitted them in front of the recipient, and this can only be achieved by understanding the Qur'anic text and performing it as it should.

Keywords: the language of the Noble Qur'an , Surat Al-Takwir, Pratt program, phonetic analysis , performance features.

المقدمة

الحمد لله الذي أنعم على خلقه بإنزال كتابه بلسان عربي مبين جــلّ أن يشابه كلام المخلوقين ، أحمده سبحانه وتعالى حمدًا طيبًا مباركًا فيه، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد ــ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم** ــ أفصحِ العــرب لســانًا ، وأبينِهم حُجة ، وأقومِهم عبارة ، وأرشدِهم سبيلًا ، عليه أفضل الصلاة وأتــم التسليم ، وبعد ،،،،

فإنه من الأمور المسلم بها أن القرآن الكريم كان ولا زال منهلا عذبا تتوارد عليه الدراسات من كل صوب وحدب على مر العصور والأزمــان ، وهو كذلك لا يزال يستنهض عقول الباحثين لاستظهار أسراره، ومعرفة كنــه إعجازه وعجائبه التي لم ولن تنقضِ؛ لذا كانت هذه المحاولة التي أتقدم بهــا على استحياء لدراسة لغة القرآن الكريم في سورة التكوير في صورة محاولة جادة لدراسة النص القرآني المتمثل في سورة (التكــوير) علــى المســتوى (الصوتي، والصرفي، والتركيبي)، وكذلك دراسة الخطــاب القرآنــي علــى المستوى الأدائي، في هذا البحث المعنون بــ " **لغة القرآن الكريم في ســورة التكوير دراسة لغوية تطبيقية على تجويد الشيخ عبد الباسط**" وإنمــا آثــرت فصل المستوى الأدائي عن المستوى الصوتي، وذلك مراعاة للتحليل الصوتي للسورة على الجانب المنطوق، وعلى هذا جاءت دراستي لهذه السورة علــى شقين:

ــ الأول على مستوى النص الذي هو " شكل الكلام أو بنيته الثابتة ــــ وهو يرتبط بالمكتوب الذي يُدرس في إطار قواعد اللغة والمعاجم، وهذا ما تم

تناوله في هذه الدراسة في المستوى (الصرفي، والتركيبي، وتحليل فواصل السورة).

ـ الثاني على مستوى (الخطاب) الذي لا يقتصر على الجانب اللغوي فقط وإنما يتعدى ذلك إلى الجانب غير اللغوي، ويقصد منه الخطاب التفاعلي المتحرك الموجه عن قصد إلى متلقٍ مقصود بقصد التأثير فيه وإقناعه بمضمون الخطاب [١] ، وهو ما يتمثل في دراستي للملامح الأدائية التي استعان بها (القارئ) لتشخيص مشاهد وأهوال يوم القيامة .

وإنما آثرت البدء بدراسة السورة على المستوى المكتوب (النص) ؛ لأن النصوص المكتوبة تُقدَم على اللغة المنطوقة عادة باعتبار أنها مادة ثابتة ، كما أنها يمكن أن يستعان بها على معرفة الخطاب المنطوق، والذي يعتمد فيه الناطق على الأداء الصوتي، ويكون المعول عليه في هذا الخطاب المنطوق الملامح الأدائية من (نبر، وتنغيم، وتزمين) إلى غير ذلك من ملامح الأداء التي يوظفها المرسل لتوصيل رسالته إلى المتلقي .

ـ أسئلة هذا البحث :

إذا كان الهدف من هذه الدراسة هو خدمة كتاب الله –تعالى– بمحاولة الوصول إلى بعض مظاهر إعجازه ، فيمكن أن يكون لأداء بعض القراء المجيدين دورٌ في تجلية هذا الإعجاز ، لا سيما إذا كان القارىء واحدًا من شيوخ القراء الذي يمس القلوب بقراءته وأدائه ، فتراك تتعايش معه في التلاوة ، وإذ بك تسأل نفسك عن سر هذا الجمال الأدائي لهذا القارىء تحديدًا؟ وما العوامل التي شاركت في إحداث هذا الجمال ؟ وهل قصد الشيخ

---

(١) ينظر تفصيل ذلك في / لغة الخطاب السياسي ـ دراسة لغوية تطبيقية في ضوء نظرية الاتصال / د. محمود عكاشة صـ ٤٥ .

استخدام هذه العوامل أم أنها جاءت عفوية ؟ ولعل هذا البحث يفي بالإجابة على هذه الأسئلة المطروحة .

ــ وقد دعاني إلى دراسة هذا الموضوع أسباب، منها ما هو على الصعيد العام وهو :

ــ أن هذه التلاوة تحديدًا اشتهر بها هذا الشيخ حتى إنها صارت علما عليه، فالذائع والمشهور في محيط دولة التلاوة تعبير "قراءة سورة (التكوير) على طريقة الشيخ عبد الباسط".

ــ أن معظم مشاهد هذه السورة تحكي وتصور أحداث يوم القيامة يؤيد هذا ما رواه الإمام أحمد (بإسناد حسن) عن ابن عُمَرَ ــ رضي الله عنهما ــ فال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ***صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ***: "***مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ رَأْيُ عَيْنٍ فَلْيَقْرَأْ: إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ، وَإِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ، وَإِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ***"[1]، فوقع اختياري على الشيخ (عبد الباسط عبد الصمد) ليقوم بدور (المرسل) أي (القارئ) ليوصل رسالته من خلال تجويده لسورة التكوير إلى (المتلقي) ويقصد به المستمع.

ومنها ما هو على الصعيد الخاص ، وهو:

ــ أن أداء الشيخ هذه السورة المباركة كثيرا ما كان يأسرني وتشدني طريقته فهي تبدو وكأنها تصور جميع مشاهد السورة أمام العين، يضاف إلى ذلك أن طريقة الشيخ قد ساهمت في تجلية موضوعات هذه السورة مع ما اشتملت عليه من أصوات، وأبنية، وتراكيب ساهم كل هذا في إحداث حالة من التخويف من أهوال يوم القيامة لدى المتلقي، يمكن أن تصل إلى حد المشيب من أهوال يوم القيامة مصداقًا لقول النبي ــ **صلى اله عليه وسلم** ــ"**شَيَّبَتْنِي**

---

(١) **مسند الإمام أحمد بن حنبل / تح. شعيب الأرنؤوط /مؤسسة الرسالة ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م (٨/ ٥٢٨) ، (٩/ ١١).**

هُودٌ وَأَخَوَاتُهَا: سُورَةُ الوَاقِعَةِ، وَسُورَةُ القِيَامَةِ، وَالمُرْسَلَاتِ، وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ، وَإِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ، وَإِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ "[1]، وعلى هذا يتضح مدى تضافر أكثر من عنصر لإحداث هذه الحالة من التجلي للشيخ أثناء أدائه هذه السورة المباركة، وفي المقابل إحداث حالة من الخشوع والخضوع للمتلقي (المستمع)، وهاتان الحالتان منشؤهما من المجانسة الصوتية، ودقة تناسب صوت الشيخ (عبد الباسط) للصوت القرآني أي مع أصوات السورة، وملاءمة النطق بالحروف ومخارجها وتتابع جرسها في الأذن لإحداث حالة من التناغم والانسجام بين المرسل والمتلقي أثناء التلاوة .

ولا شك أن تكاتف بنية النص التوقيفية مع فاعلية الخطاب المكتسب من الأداء يزيد النص القرآني جمالًا صوتيًا من شأنه أن يُدخل المعنى إلى القلب؛ لأن الأذن ترتاح إليه ، وتتمتع بسماعه .

وعلى هذا يمكن القول :إن الانسجام بين المرسل(الشيخ) والمتلقي (المستمع) في هذه التلاوة المباركة إنما نشأ من مجموعة عناصر ملتحمةٍ فيما بينها ــ يمكن الكشف عنها عن طريق دراسة المستوى (الصوتي، والصرفي، والتركيبي) ــ مشكِّلةً نسيجًا موحدًا يصعب الفصلُ بين أجزائه إلا بقصد تسهيل دراستها ؛ لأنها بناء متكامل متعاون تشكل مجتمعةً البنية اللغوية للسورة .

لذا جاء هذا البحث ليكون محاولة للكشف عن (لغة القرآن) في هذه السورة ، وإنما آثرت تسميته (لغة القرآن) دون (اللغة في القرآن) للإشعار بأن القرآن له لغة متميزة خاصة به يمكن التعرف عليها بسهولة ، كما فعل (الوليد بن المغيرة) حينما سأله قومه عما يقول (محمد) ــ صلى الله عليه

---

(١) **المصنف للصنعاني (٢١١هـ)/تح. حبيب الرحمن الأعظمي/ المجلس العلمي- الهند/ ط٢، ١٤٠٣ ه. (٣/ ٣٦٨).**

وسلم ــ فقال مقولته الشهيرة « **فَوَاللَّهِ مَا فِيكُمْ رَجُلٌ أَعْلَمَ بِالْأَشْعَارِ مِنِّي، وَلَا أَعْلَمَ بِرَجَزٍ وَلَا بِقَصِيدَةٍ مِنِّي وَلَا بِأَشْعَارِ الْجِنِّ وَاللَّهِ مَا يُشْبِهُ الَّذِي يَقُولُ شَيْئًا مِنْ هَذَا وَوَاللَّهِ إِنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي يَقُولُ حَلَاوَةً، وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً، وَإِنَّهُ لَمُثْمِرٌ أَعْلَاهُ مُغْدِقٌ أَسْفَلُهُ، وَإِنَّهُ لَيَعْلُو وَمَا يُعْلَى وَإِنَّهُ لَيَحْطِمُ مَا تَحْتَهُ**»..." [(١)] ، وفي هذا دلالة على علو كعب لغة القرآن الكريم واختصاصها بظواهر لغوية مميزة عن غيرها ، من هذه الظواهر المميزة للغة القرآن الكريم استقلاليةُ الكلمة القرآنية ؛ حيث إن الوحي القرآني " اختار الصوت المناسب للفظ المناسب في الموقع المناسب، بما يوحي باستقلالية الكلمة المختارة لدلالةٍ أعمق وإشارةٍ أدق ؛ بحيث يتعذر استبدال ذلك بسواه؛ إذ لا يؤدِي غيره مراده، وهذا مَعْلَم واضح من معالم الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم " [(٢)]

ــ الحدود الموضوعية للبحث:

تتعلق الحدود الموضوعية للبحث بدراسة سورة (التكوير) دراسة لغوية قائمة على تحليل عناصرها الصوتية ، والمقطعية، والتطريزية (الأدائية)، والصرفية، والتركيبية، ومدى تناسب ذلك مع السياق الذي ترد فيه، فتكون الدراسة بذلك أكثرَ دقة وموضوعية ، وتكون مصدرَ ثراء للمكتبة العربية على وجه العموم ، والصوتية على وجه الخصوص.

---

(١) المستدرك على الصحيحين للنيسابوري (٤٠٥هـ)/ تح. مصطفى عبد القادر عطا/ دار الكتب العلمية – بيروت/ط١، ١٤١١ – ١٩٩٠/(٢/ ٥٥٠).

(٢) الصوت اللغوي في القرآن / د. محمد حسين علي الصغير / دار المؤرخ العربي ــ بيروت ــ لبنان / ١٤٢٠ هـ ــ ٢٠٠٠ م. صـ٢٠٤ .

ـ خلفية هذا البحث:

لا شك أن سورة (التكوير) من السور التي لاقت عناية من الباحثين وقد تنوعت الدراسات حولها ، ومن هذه الدراسات :

ـ بحث بعنوان "دراسة صوتية صرفية تركيبية لسورة التكوير"،وهو عبارة عن مذكرة تخّرج لنيل شهادة ليسانس في الأدب العربي ـ جامعة أبي بكر بلقايد * تلمسان* الملحقة الجامعية (الجزائر) قسم اللغة والأدب العربي/ إعداد الطالب عبدالفتّاح شقراني/إشراف الأستاذة:حورية مرتاض (٢٠١٤م/١٤٣٦هـ) تناول فيه الباحث دراسة سورة (التكوير) دراسة نظرية تحدث في الجانب الصوتي عن مخارج الأصوات وصفاتها، وتناول الأحكام التجويدية في السورة ، وتناول تعريف الصرف ودلالة الميزان الصرفي، أما في المستوى الثّالث فعرف بالتّركيب إضافة إلى تعريف الإسناد الذي لابد منه في الكلام العربي، وعلى هذا فإن هذه الدراسة بعيدة تمام البعد عن دراستي هذه .

ـ بحث بعنوان "ارتباط الشكل والبنية في سورة التكوير" ، إعداد (هومن ناظميان) / مجلة الجمعية العلمية للغة العربية وآدابها، فصلية محكمة /عدد٢٧/٢٠١٣م، ركز فيه الباحث على البنية الإيقاعية وارتباطها بالدلالة القرآنية ، وبيَّن التوازن الصوتي في السورة .

ـ بحث بعنوان "صوت الراء ردوده الجمالية والدلالية في سورتي التكوير والانفطار ـ دراسة صوتية ـ مجلة اللغة العربية وآدابها علمية محكمة / العدد ٣/١٤٤٠هـ / من صفحة (٥١٧: ٥٣٩)/ إعداد جلال مرامي ، سعيد سواري ، فيه تحليل موقع صوت الراء لتتبع التماسك المرتبط بين التركيز على المقطع الصوتي والتشكيل الصرفي للكلمة والتركيب النحوي للجملة لمعرفة الدلالات المرتبطة بخصائص صوت الراء.

ــ رسالة دكتوراه بعنوان (الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم دراسة تطبيقية تحليلية من سورة النبأ إلى سورة الطارق) (١٤٤١ه ــ ٢٠٢٠م) كلية اللغة العربية بالقاهرة ــ جامعة الأزهر إعداد _محمد دسوقي عليوة خضر / إشراف أ.د. عبد التواب مرسي الأكرت، أ.د. محمد عبد العال السيد، تناول فيها الباحث سورة التكوير ضمن سور الحزب التاسع والخمسين، واقتصر الباحث فيها على دراسة المستوى الصوتي فقط دون المستوى الصرفي أو المستوى التركيبي، وكان تطبيقه على ترتيل الشيخ المنشاوي.

أما عن دراستي فقد أفردتها لدراسة سورة (التكوير) دراسة لغوية، وطبقت على تجويد الشيخ عبد الباسط في مبحثين :

ــ الأول: على مستوى النص، وقد تم في هذا المبحث دراسة السورة على المستوى (الصرفي، والتركيبي، وتحليل فواصل السورة).

ــ الثاني: على مستوى (الخطاب) وهو ما يتمثل في دراستي للملامح الأدائية التي استعان بها (القارئ تجويدًا) لتشخيص مشاهد وأهوال يوم القيامة، والتي تختلف بدورها من قارئ لآخر ، ومن طريقة أداء لأخرى .

ــ منهج البحث:

اقتضت طبيعة الموضوع الاعتماد على المنهج الوصفي[١] بأدواته[٢] المتمثلة في الإحصاء، و التحليل ، حيث قمت بجمع العناصر الصوتية

---

(١) وهو المنهج القائم على وصف الظاهرة اللغوية كما هي عليه في وقت معين، أي أنه يبحث اللغة بحثا عرضيا لا طوليا، ويصف ما فيها من ظواهر لغوية مختلفة، ويسجل الواقع اللغوي، تسجيلا أمينا / ينظر / المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي / د. رمضان عبد التواب / مكتبة الخانجي بالقاهرة /ط ٣/ ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م. (ص: ١٨١).

(٢) يقصد بالأدوات تلك الأشياء التي تعين وتساعد في تطبيق هذا المنهج ، وبفرق بينها وبين المنهج في أن "الأدوات غير قائمة بذاتها، ولا توجد إلا بوصفها عناصر من مجاميع قائمة بذاتها أما المنهج فهو كيان مستقل بذاته" / ينظر / اللغة جوزيف فندريس (١٣٨٠هـ) / تعريب: عبد الحميد الدواخلي، محمد القصاص/ مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٠ م/ (ص: ٤٢٤).

للآيات القرآنية محل الدراسة، ثم إحصائها ثم تصنيفها ثم دراستها دراسة تحليلية، مع الاعتماد على كتب اللغة ، وكتب التفاسير، والأصوات، وكذلك الاعتماد على المنهج التجريبي[١] المتمثل في تحليل الآيات تحليلًا فيزيائيًا على برنامج (برات) مع ربط كل هذا بالدلالة.

ـ خطة البحث :

انتظم هذا البحث في مقدمة ، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة ، أما المقدمة فعرّفت فيها بموضوع البحث، وأسباب اختياري له، وفرضية البحث وحدوده، ومنهج البحث، وخطة البحث وتقسيمه، وأما المبحث الأول وعنوانه : لغة النص القرآني في سورة (التكوير)، وفيه ثلاثة مطالب: المطلب الأول وعنوانه : لغة النص القرآني في سورة (التكوير) على المستوى الصوتي، وفيه دراسة صوتية لفواصل سورة (التكوير) ، وأما المطلب الثاني وعنوانه: لغة النص القرآني في سورة (التكوير) على المستوى الصرفي، وفيه دراسة لأبنية وصيغ السورة ، وأخيرا المطلب الثالث وعنوانه : لغة النص القرآني في سورة (التكوير) على المستوى التركيبي، وفيه دراسة لتراكيب هذه السورة المباركة، وأما المبحث الثاني وعنوانه :لغة الخطاب القرآني في سورة (التكوير) ، وفيه دراسة المستوى الأدائي لسورة التكوير من خلال تجويد الشيخ (عبد الباسط)، ثم تأتي الخاتمة لتتناول خلاصة النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة ، ثم تتبع بثبت المصادر والمراجع التي اعتمد عليها البحث، ثم تأتي بعد ذلك الفهارس المتنوعة لتسهيل عملية البحث، وفهرس الموضوعات .

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل''''

---

(١) يشير هذا المنهج إلى وجهة النظر التي تذهب إلى أن كل المعلومات تأتي عن طريق التجربة / ينظر / اللغة وعلم اللغة / جون ليونز/ دار النهضة العربية / ط١ / (ص: ٥٥).

المبحث الأول : لغة النص القرآني في سورة (التكوير):

المطلب الأول : لغة النص القرآني في سورة (التكوير) على المستوى الصوتي (فواصل السورة):

تعد سورة التكوير إحدى السور التي تؤثر في المتلقي تأثيرًا بالغًا بوقع جرسها وأصواتها ، لا سيما صوت (التاء) الذي ورد (فاصلة) في أربع عشرة آية متتالية من بداية السورة ، فقد انتهت فواصل هذه الآيات بصوت (التاء الساكن)، وصوت (التاء) صوت (مهموس، منفتح، مستفل) من ناحية ، (شديد) من ناحية أخرى، ولعل السر في ختم هذه الفواصل بصوت التاء الساكن المهموس "الإشارة إلى انقضاء حركة الحياة الأولى في الكون، والإيذان بسيطرة الخوف والدهشة على النفوس والخوف الذي يغشى الناس... بسبب أوضاع الكون الغريبة التي صار إليها، وليس في النفوس البَشرية استعداد لتحملها في وعيٍ وإدراك، والإنسان يومئذ سيرى حقيقة عمله ويقف على نوع مصيره (عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ) ، والنفوس عندما تصل إلى هذا الموقف تتهَيأ لامتثال الأوامر، وتتطلع إلى حسن التوجيه وتهفو إلى الإرشاد المنجي من هذه الويلات...." [1] فتكون ضعيفة ذليلة هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن هذا الصوت بشدته يتناسب مع أهوال هذا اليوم وما فيه من توتر واضطراب (وكأن هذه التاءات المتتابعة تناسب حالة التوتر) ؛ لذا فإن تتابع هذه (التاءات) دون توقف جاء مناسبًا لتوالي أهوال القيامة وشدائدها ليقرع صوت التاء بجرسه الآذان قرعًا، كما أن هذا يتناسب مع قدرة القدير جل وعلا التي لا تضاهيها قدرة .

---

(١) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية / عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني (١٤٢٩هـ)/ مكتبة وهبة/ ط١، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م (١/ ٢١٠ ، ٢١١).

وبهذا يتضح أن إيثار التعبير القرآني هذا الصوت ذي الوجهين، يتناسب بشدته مع شدة أهوال يوم القيامة ، كما أن هذا الصوت بهمسه وضعفه يتناسب مع حالة ضعف الخلائق في هذا اليوم وما يحدث لهم من مفاجآت فإن مشاهد وأهوال القيامة قد أنهكت العباد ، وأصابتهم بالتعب والإعياء ، وقطعت أنفاسهم ، حتى إنك لا تكاد تسمع إلا همسًا يحاكيه همس التاء .

ثم يمتد هذا الهمس إلى كل ما في الكون يحكي هذا قول الله تعالى ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾﴾ [طه:١٠٨] ، فامتد الهمس إلى الكواكب الخنس الجواري الكنس ، وإلى الليل الذي يُعسعس، والصبح الذي يتنفس ، فجاء صوت الفاصلة لهذه الآيات الأربع صوت (السين) بهمسه ورخاوته وضعفه ، فإذا كان صوت الفاصلة في الآيات السابقة صوت (التاء) مزدوج الشخصية شدة وضعفًا تناسبًا بشدته مع حال الخالق القدير بقوته ، وهمسه مع حال المخلوق الضعيف، فإن صوت الفاصلة في هذه الآيات الأربع يتناسب مع حالة الضعف والانقياد التامة التي تكون عليها تلك المخلوقات (الكواكب ، والليل ، والنهار) إضافة إلى حالة السلاسة والطواعية التي تمثلها صفة الرخاوة في صوت (السين) ، إضافة إلى أن صفة (الصفيرية) في صوت (السين) تتناسب مع إثارة ، ولفت الأنظار إلى الآيات الدالة على قُدرة الله الفائقة .

وأخيرًا يأتي دور صوت الفاصلة في المقطع الثاني من هذه السورة المباركة في الآيات (١٩ : ٢٩) وفيها وصف القرآن بما هو حقيق به من أوصاف الكمال ، فتتوَّعَ صوت الفاصلة القرآنية في هذه الآيات العشر بين صوتي (النون ، والميم) بواقع سبع فواصل لصوت (النون) ، وثلاث فواصل لصوت (الميم) ، وبإمعان النظر في آيات فاصلة صوت (النون) ذلك الصوت

(المجهور، الأغن، المتوسط بين الشدة والرخاوة)، يتضح مناسبة هذه الصفات لمعاني هذه الآيات التي هي بمثابة قسم من الله تعالى على كون محمدٍ ـــ ***صلى الله عليه وسلم*** ـ كريمًا غير مجنون ، وليس هذا فقط ؛ بل أكَّد على عِظم أخلاقه ، وهذا المعنى يتناسب تمام التناسب مع صوت (النون) بتوسطه بين الشدة والرخاوة ، فله نسب قريب بالوقفات ـ أي الأصوات الشديدة ـ وصلة واضحة بالأصوات الممتدة ـ أي الرخوة ـ [1] ـ على حد تعبير الدكتور كمال بشر ـ وكأنه بتوسطه هذا يناسب طبيعة هذا الخطاب الذي هو بمثابة تقريعٍ وزجر للمشركين على افترائهم عليه ـــ ***صلى الله عليه وسلم*** ـ ، وتطييبٍ لخاطره ـ ***صلى الله عليه وسلم*** ـ على سوء أدبهم معه ـ ***صلى الله عليه وسلم*** ـ كما أنه بجهره يتناسب مع كونه ـ ***صلى الله عليه وسلم*** ـ على خلق عظيم ، وأن عظم أخلاقه ـ ***صلى الله عليه وسلم*** ـ ظاهر للعيان، بل بشهادتهم أنفسهم ؛ حيث كانوا يلقبونه بالصادق الأمين ، أي أن هذا الوصف ملابس له ـ ***صلى الله عليه وسلم*** ـ بحيث صار ملازمًا له فإذا ذكر الصادق الأمين كان محمدًا ـ ***صلى الله عليه وسلم*** ـ ، وإذا ذكر محمد ـ ***صلى الله عليه وسلم*** ـ كان الصادق الأمين وكأنه ـــ ***صلى الله عليه وسلم*** ـ أُشْرِب هذا الوصف ، وكأن هذه الصفة تغلغلت فيه، وهذا ما جسدته صفة (الغنة الخيشومية) في هذا الصوت، والغنة ـ كما قال عنها الخليل ـ " صوت فيه ترخيمٌ نحو الخياشيم يغُور من نحو الأنف بعونِ

---

(١) علم الأصوات/د.كمال بشر/دار غريب للطباعة والنشر/القاهرة /١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م صـ ٢٠٥ .

من نفسِ الأنفِ والنون أشد الحروف غُنَّةً " [١] ، وكأن هذا الصوت الأغن الخيشومي بعمق مخرجه يجسد أصالته وتمكنه ــ ***صلى الله عليه وسلم*** ــ في هذا الوصف .

كما لا يخفى هذا التساوي المقطعي بين الوحدات الصوتية في المقطع الفاصلي(ص ح ص) (رَتْ، لَتْ، جَتْ، طَتْ، فَتْ)، والذي يتكون من صوت (الفاصلة التاء) يسبقه صامت مفتوح يبدأ بصوت (الراء ، ثم اللام ، ثم الجيم ، ثم الطاء ، ثم الفاء ، وأخيرًا الراء) ، ولا يخفى هذا التقارب بين الأصوات مخرجًا أو صفة وتناسبه مع طبيعة الحدث ، فأحداث العالم العلوي والعالم السفلي كلها ــ عدا تعطيل العشار ــ ناسبه صوت (الراء) بتكريره وارتعاد اللسان حال النطق به ، وكأنه يحاكي خوف وارتعاد المخلوقات أمام هذه الأهوال ، أما أحداث العالم الغيبي فاقتصر صوت (الراء) فيه على نشر الصحف ، وتسعير الجحيم ، وهذان المشهدان يناسبهما صوت (الراء) أيضًا، وأما بقية المشاهد فكان صوت (اللام ، والجيم ، والطاء ، والفاء) بما يتناسب مع حالة هذه المشاهد من غموض وخفاء يحاكيه همس (الفاء ، والطاء) ، ومن انحراف عن الطبيعة والأصل في تعطيل العشار يحاكي هذا انحراف (اللام) ، إضافة لهذه الصفة الفريدة وهي (التركب) في صوت الجيم، هذا في المقطع الأول من هذه السورة أما في المقطع الثاني فإن المقطع الفاصلي فيه (ص ح ص) (نَس ،عَس، فَس)، والذي يتكون من صوت (الفاصلة السين) يسبقه صوت مفتوح يبدأ بصوت (النون ، والعين ، والفاء) ، ولا يخفى ما بين هذه الأصوات الثلاثة من رابط الوضوح والظهور بدءًا من صوت (النون) المدغم ، وصوت (العين) بنصاعته، وصوت (الفاء) بنفثه وانتشار هوائه

---

(١) كتاب العين /الخليل بن أحمد الفراهيدي / تح. د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي/ دار ومكتبة الهلال (٤/ ٣٤٩) غ ن ن.

وتشديده ، كل هذا يتناسب مع مقام القسم بمشاهد كونية بديعة لافتة للنظر، وعلى كل فقد تساوت جميع المقاطع الفاصلية حتى صار لها إيقاعٌ متساوٍ سريع الحركة اشترك في استحضار الصورة وتمثيلها للخيال .

كما يُلاحظ أن هناك انسجامًا وتوافقًا بين صيغة (فُعَّلْ) في (الخنس ، الكنس) التي تتألف من مقطعين كلاهما متوسط مغلق (ص ح ص) (فُعْ / عَلْ) ، وبين صيغة (فُعِّلَتْ) في (كورت، سيرت ، عطلت،...) التي تتألف من ثلاثة مقاطع، اثنين متوسط مغلق (ص ح ص) بينهما مقطع قصير(ص ح) (فُعْ/عِ / لَتْ)، ثم تأتي الصيغة الثالثة (فَعْلَلْ) في (عسعس) التي تتألف من مقطعين مغلقين (فَعْ، لَلْ) ، وأخيرًا صيغة (تَفَعَّلْ) في (تنفَّس) التي تتألف من ثلاثة مقاطع الأول قصير يليه مقطعان متوسطان مغلقان (تَ / فَعْ / عَلْ)، لتصبح حالة الانسجام الإيقاعي للصيغ في النصف الأول لهذه السورة المباركة على هذا النحو:

- الصيغة الأولى (فُعِّلتْ) (ص ح ص) /(ص ح) /(ص ح ص) .
- الصيغة الثانية (فُعَّلْ) (ص ح ص) / (ص ح ص) .
- الصيغة الثالثة (فَعْلَلْ) (ص ح ص) / (ص ح ص).
- الصيغة الرابعة (تَفَعَّلْ) (ص ح) / (ص ح ص) / (ص ح ص).

مما أحدث حالة من الانسجام في الإيقاع الصيغي لهذه الصيغ الأربع التي تتألف جميعها من مقطعين متوسطين مغلقين (ص ح ص) إضافة إلى مقطع قصير (ص ح) في كل من الصيغة الأولى والأخيرة .

وأخيرًا لا يخفى هذا الوجود الملحوظ لصوت (الهمزة) الذي ورد في هذه السورة المباركة (أربعًا وثلاثين) مرة، فلا تكاد تخلو آية من آياتها التسع والعشرين من هذا الصوت القوي عدا خمس آيات خلت من صوت (الهمزة)،

فهذا الصوت ورد بنسبة (٨٢.٧)% من إجمالي عدد آيات السورة ، وهذه الوقفة الحنجرية [١] الانفجارية التي قال عنها (سيبويه) إنها : "نبرةٌ في الصدّر تخرج باجتهادٍ، وهي أبعد الحروف مخرجًا، فثقل عليهم ذلك، لأنَّه كالتهوُّع"[٢] تتناسب تمام التناسب مع تصوير حال الخلائق يوم القيامة حال رؤيتهم مشاهد وأهوال يوم القيامة الموجبة للخوف، وما يحدث لهم من خوف وفزع تكاد تنخلع له القلوب إلى الحناجر من هول ما ترى، يحكي هذا قول الله تعالى ﴿ وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ إِذِ ٱلۡقُلُوبُ لَدَى ٱلۡحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ ١٨ ﴾ [غافر:١٨] ، ولا أنسب من هذه الحبسة الحنجرية من التعبير عن هذا الموقف الذي تتوالى فيه هذه المشاهد تترى ، والذي عُبِّر عن هذا التوالي بأسلوب الشرط الذي يربط بين أجزاء الكلام ربطًا يُلاحَظ معه الترتيب بين السبب والمسبب ، فكأن كل المشاهد تتوالى تباعًا دون فاصل يحكي هذا وسيلة العطف بين هذه المشاهد بـــ (واو العطف) التي تقتضي الجمع والترتيب فكأن كل هذه المشاهد جُمعت معًا ثم حدثت مُرتبةً واحدة تلو الأخرى بلا فاصل زمني أو استراحة، هكذا تتلقى الخلائق كل هذه المشاهد واحدة تلو الأخرى

---

(١) وإنما راعى هذا المصطلح أمرين في الهمزة : الأول / المخرج، فمخرجها الحنجرة، وهي أقصى مواضع النطق في الجهاز النطقي عند الإنسان – الثاني : حالة ممر الهواء عند النطق. فالممر يغلق إغلاقا تاما ثم يفتح فجأة، فيحدث انفجار نتيجة لخروج الهواء المضغوط خلف الوترين الصوتيين. ومن هنا كانت الصفة "وقفة" stop وانفجارية Plosive. فالهمزة وقفة إذا راعينا هذا الإغلاق. وهي انفجارية إذا راعينا انفجار الهواء. وقفة انفجارية Plosive Stop. / ينظر/ دراسات في علم اللغة/ كمال بشر/ دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع / (ص: ٥٧ ، ٦٠) .

(٢)الكتاب / لسيبويه / تح. عبد السلام محمد هارون / مكتبة الخانجي، القاهرة / ط٣ / ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م. (٣/ ٥٤٨).

بصورة تنخلع لها قلوبهم في كل مرة حتى تصل إلى الحناجر فتُكظَم وتُحبس في هذا الموضع أي موضع خروج (الهمزة)، وهكذا يكون ورود صوت الهمزة في هذه الآيات بهذه الصورة الكثيرة ــ فلا تكاد تخلو آية منه وربما ذكر في آية أكثر من مرة ــ سوقًا للأصوات على سمت الأحداث .

ـ المطلب الثاني :

لغة النص القرآني في سورة (التكوير)على المستوى الصرفي (إيقاع الصيغ):

لا شك أن سورة (التكوير) من السور التي رسمت مشاهد يوم القيامة وصورتها تصويرًا جعل هذه المشاهد وكأنها شاخصةٌ أمام الأعين ، بحيث "صارت من رأي عين لو كشف الغطاء ما ازداد الموقنون بها يقينا ...." [١] ، وقد ساعد في ذلك العديد من العناصر، والتي منها (المفردات أو الصيغ) فعندما " تكون المفردات في العبارة متخيَّرة دقيقة فإنها تُحدث قوة في السبك، وجمالا في التناسق، فضلًا عما تحدثه من إيقاع خاص ينسجم مع دلالة الجملة والعبارة، ولاشك أن تناغم دلالة المفردات يؤدي تلقائيًا إلى تناغم صيغ تلك المفردات عند من اختلطت بنفسه فطرة اللغة وأوتي حظًا من مَلَكةِ حسن التعبير، والقرآن الكريم يبلغ القمة في ذلك ..." [٢]

وعند النظر في هذه السورة يتضح أن الثلاث عشرة آية الأُوَل من هذه السورة اشتمل كل منها على فعل ماضٍ مبنٍ للمفعول أي بنسبة(٤٤.٨)% من إجمالي آيات السورة التسع والعشرين ، وإنما جاء التعبير عن هذه المشاهد التي لم تقع بعدُ بالأفعال الماضية ؛ لأن" كل هذه الأفعال محققة نزلت منزلة الكائنة الموجودة ، فعبر عنها بلفظ الماضي في معنى المستقبل في الآيات التي تحكي الحال المنتظرة يوم القيامة، ولعل ذلك من أجل الدلالة على قرب القيامة حتى كأنها قد قامت ووقعت، وتنزيل المنتظر منزلة الواقع الكائن؛ لأنّ المنتظر من وعد الله ووعيده ملقيٌّ في الحقيقة، وما هو كائن فكان قد " [٣] ،

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢٠/ ٣٨٧) .

(٢) الأسلوبية الصوتية في القرآن الكريم (الإيقاع) ، بحث مقدم من / صالح زيدور/ إشراف/ د أحمد بن عجمية/ جامعة أحمد بن بلة ــ وهران (الجزائر) / صـ ١٧١.

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل / الزمخشري (٥٣٨هـ) / دار الكتاب العربي بيروت / ط٣ / عدد الأجزاء: ٤/ ١٤٠٧ ه (٤/ ٥٦٠).

كما أنه قد جاء التعبير عن هذه الأفعال بصيغة المبني للمفعول كعادة القرآن الكريم المطردة الذي "يصرف الحدث عمدًا عن محدثه، فلا يسنده إليه، وإنما يأتي به مبنيًا للمجهول، أو مسندًا إلى غير فاعله، على المطاوعة أو المجاز...، وفي هذا تركيز للاهتمام بالحدث، بصرف النظر عن مُحدِثه، وفي الإسناد المجازي أو المطاوعة، تقرير لوقوع الأحداث في طواعية تلقائية؛ إذ الكون مهيؤٌ للقيامة على وجه التسخير، والأحداث تقع تلقائيًا لا تحتاج إلى أمر أو فاعل" (١)

أما عن الإيقاع الصرفي في هذه الآيات فإن هذه الآيات تتحدث عن ثلاثة عوالم :

ــ العالم الأول : العالم العلوىّ ؛ حيث تتكور الشمس ، وتتكدر النجوم .

ــ العالم الثاني : العالم الأرضي؛ حيث تُسيَّر الجبال ، وتعطَّل العشار ، وتُحشَر الوحوش ، وتسجَّر البحار.

ــ والعالم الثالث : العالم الغيبي ؛ حيث تُزوَّج النفوس ، وتُسئل الموءودة عن ذنبها ،لم قتلت ؟ وتُنْشَر الصحف ، وتُكشَط السماء ، وتُسعَّر الجحيم ، وتُزلَف الجنة .

أي أن هذه العوالم الثلاثة، يقع عليها التغيير والتبديل من أحداث القيامة..

كما أنه بالنظر في هذه الآيات يتضح أنها جاءت على أربع صيغ :

الصيغة الأولى : (فُعِّلت) (كُوِّرت ، سُيِّرت ، عُطِّلت ، سُجِّرت ، زُوِّجت ، سُعِّرَت)

---

(١) التفسير البياني للقرآن الكريم / عائشة محمد علي عبد الرحمن (١٤١٩هـ) / دار النشر: دار المعارف – القاهرة الطبعة: السابعة . (١/ ٨٠ ، ٨١).

الصيغة الثانية : (فُعِلت) (حُشرت ، سُئِلَت، قُتِلَت ، نُشِرَت ، كُشِطَت)

الصيغة الثالثة : (انفعلت) (انكدرت) .

الصيغة الرابعة : (أُفعلت) (أُزلفت).

الصيغة الأولى (فُعِّلت) التي من أشهر معانيها (التكثير والمبالغة) كما قال صاحب (شرح الشافية) : "اعلم أن "فَعَّلَ" يأتي لمعان:

– أحدها: أن يأتي للتكثير غالبًا، إلا أنه إن كان متعديًا كان التكثير في متعلقه أي: في مفعوله، نحو: غَلَّقْتُ الأبواب، وقَطَّعْتُ الأيدي ، وإن كان لازمًا كان التكثير في فاعله، نحو: جَوَّلْتُ وطَوّفْتُ؛ أي: أكثرت الجوَلان والطواف ...."[1].

وهذه الصيغة بدلالتها على المبالغة والتكثير شملت العوالم الثلاثة ؛ لمناسبة الأحداث الهائلة التي تحدث يوم القيامة (فشمس العالم العلوي كوِّرت، وجبال العالم السفلي سيرت ، وعشاره عطلت ، وكذلك بحاره سجرت، وأخيرًا نفوس العالم الغيبي زوِّجت ، وجحيمه سُعِّرت) هكذا ترى هذه الصيغة (فُعِّل) قد طالت كل العوالم ، وأحدثت الأفاعيل فيها، وأحدثت حالة من اختلال النظام الكوني عند قيام الساعة، ولكنها هنا صوَّرت هذه المشاهد في صورة من إيقاع الصيغ فريد أحدث انسجامًا وتوازنًا تجتذب له النفوس وتميل إليه ؛ وهذا ما تصبو إليه هذه السورة المباركة ، فجاءت هذه الآيات على نمط إيقاعي في الصيغ على هذا النحو[2](فُعِّل ، انفعل ، فُعِّل ،

---

(١) شرح شافية ابن الحاجب / ركن الدين الإستراباذي تح. د.عبد المقصود محمد عبد المقصود ط. مكتبة الثقافة الدينية / ط ١ / ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م / (٢٥١/١) .

(٢) تشير هذه العلامة (+) إلى الصيغة (فُعِّلت) بينما تشير العلامة (_) إلى ما عداها من الصيغ .

فُعِّل ، فُعِل ، فُعِّل ، فُعِّل)، (فُعِل ، فُعِل، فُعِل، فُعِل ، فُعِّل ، فُعِل) ، (+ ، ــ ، + ، + ، ـــ ، +، +) ، (ــ ، ــ ، ــ ، ــ ، + ، ــ)

خمس مرات (فُعِّلت) يفصل بينها (انفعلت) مرة واحدة و(فُعِلت) مرة واحدة ، ثم خمس مرات (فُعِلت) بينها (فُعِّلت) مرة واحدة ، وكأن هذا التكرار المنتظم لهذه الصيغ الأربع ساعد في إحداث إيقاع وانسجام في عرض هذه المشاهد ، إضافة إلى تناسب كل صيغة مع معنى الفعل الذي اقترنت به ، فالتفعيل يتناسب مع الشمس التي هي أعظم الأجرام السماوية وأشهرها ، ثم إنه" لما تكوَّرت الشمس بعظمتها في حالة اختلال نظام الكون، طاوعت النجوم هذا الاختلال دون أدنى مقاومة منها فانكدرت هي الأخرى وطُمِس ضوؤها تلقائيًا أو على وجه التسخير؛ لأن التأثير في الأعظم يدل على التأثير فيما دونه بطريق الأولى" [1] ، وكأنه ليس في حاجة إلى فاعل ، ثم إنه لما تعدَّى الأمر إلى الجبال ــ التي هي أعظم المخلوقات على الأرض ، والتي هي أصلب ما في الأرض عاد التعبير بالتفعيل مرة ثانية، ثم انتقل الحديث عن (العشار) التي تعتبر من أعلام الحيوانات وهي" أنفس ما تكون عند أهلها وأعزها عليهم..."[2] ؛ لأنها "تجمع اللحم والظهر، واللبن، والوبر" [3]، فجاء التعبير عن تعطيلها وإهمالها ــ وهذا على غير المعتاد عند العرب ــ بصيغة (عُطِّلَتْ) ، أي : تركت مسيبة مهملة، وهذا أمر عظيم ؛ لأنه "ليس شيء أحب إلى العرب من النوق الحوامل، وخوطب العرب بأمر العشار لأن أكثر مالها

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢١/ ٢٧٦).

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٧٠٧).

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢١/ ٢٧٧).

وعيشها من الإبل...."[١] ، فكانت إذا بلغت ذلك أحسنت إليها وأعزتها واشتد إقبالهم عليها[٢] .

وإذا كانت هذه الآيات الثلاث عشرة مقسمة إلى ثلاث مجموعات :

ــ مجموعة العالم العلوي

ــ مجموعة العالم السفلي

ــ مجموعة العالم الغيبي

فإن المجموعتين الأوليين جاء إيقاعها الصيغي على هذا النحو (فُعَّــل، انفعل ، فُعَّل ، فُعَّل ، فُعِل، فُعَّل) أي:(+ ، ـــــــ ، + ، + ، ــ ، +) أربــع مرات صيغة (فُعَّل) من إجمالي(ست صيغ) ،أي بنسبة (٦٦.٦)% ، بينما جاء إيقاع المجموعة الثالثة (العالم الغيبي) على هذا النحو (فُعَّل، فُعِــل ، فُعِــل، فُعِل، فُعِل ، فُعَّل ، أُفْعِل) ، أي : (+، ـــ ، ـــ ، ـــــ ، ـــــ ، + ، ـــ) خمس مرات صيغة (فُعِل) من إجمــالي (ســبع صــيغ) ، أي بنســبة (٧١.٤)% ، وكأن في النسبة الأولى إشارة إلى أن عالم الشهادة المتمثل فــي (العالم العلوي ، والعالم السفلي) لما كان مشاهَدًا معلومًا كنهَــه ناســب ذلــك مجيء صيغة (فُعِّل) بدلالتها على التكثير والمبالغة لبيــان أن هــذه الأشــياء المعروفة الكنه والتي لها وزنها وقيمتها في الدنيا سيَحدث لها هذه التغييــرات التي ستُغير حالها تماما ــ بما تقتضيه صيغة المبالغة ــ ، ولا يُقام لهــا وزن يوم القيامة بأهواله ، فالشمس (كوِّرت) مثل العمامة، وظهرت" كــالكرة فــي أعين الناس يومئذ أي يوم القيامة، حيث يشرف عليها الإنسان من علٍ فيراها

(١) مفاتيح الغيب للرازي (٦٠٦هـ) / دار إحياء التراث العربي – بيروت / الطبعة: الثالثــة – ١٤٢٠ هـ (٣١/ ٦٤).

(٢) ينظر / نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢١/ ٢٧٧).

من جميع وجوهها، لا من وجه واحد، كما تبدو الآن وكأنها قرص مسطّح." [١] ، وهذا يعني أن ضوءها يُلَفُّ لفا فيذهب"انبساطه وانتشاره في الآفاق ....، أو يكون لفها عبارة عن رفعها وسترها..." [٢] ، والجبال (سُيِّرَتْ) أى على وجه الأرض وأبعدت، " فصارت كأنها السحاب في السير والهباء في النثر لتستوي الأرض فتكون قاعًا صفصفًا لا عوج فيها" [٣] كقوله تعالى ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ﴿٨٨﴾ ﴾ [النمل:٨٨] ، والعشار (عطلت) وترُكت مهملة كأنه لا صاحب لها مع أنها أنفس أموالهم ، والبحار (سُجِّرت)، وفُجِّر بعضُها إلى بعض حتى صارت بحرًا واحدًا وملُئت حتى كان ما فيها أكثر منها وأحمئت حتى كانت كالتنور التهابًا وتسعرًا فكانت شرابًا لأهل النار وعذابًا عليهم"[٤] ، كل هذه الأحداث والأفاعيل ناسبت صيغة التكثير (فعَّل) .

بينما النسبة الثانية التي تخص العالم الغيبي والتي بلغ نسبة ورود صيغة (فُعِل) ــ بالتخفيف، والبناء للمفعول ــ فيها (٧١.٤)% ناسبت هذا العالم الغيبي الذي لا يعلم حقيقته إلا الله تعالى ، فلا أحد يعلم كيفية سؤال الموءودة عن ذنب قتلها، ولا أحد يعلم كيفية نشر الصحف، ولا حقيقة كشط السماء؛ لذلك اكتفى التعبير القرآني بصيغة (فُعِل) المخفف المبني للمجهول؛ وذلك "لتركيز الاهتمام على الحَدث، بصرفِ النظرِ عن مُحدِثه "[٥]، عدا موضعي

---

(١) التفسير القرآني للقرآن / عبد الكريم/ يونس الخطيب (١٣٩٠هـ) / دار الفكر العربي – القاهرة / ١٣٨٦ هـ = ١٩٦٧ م. (١٦/ ١٤٦٧).

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/٧٠٦ ، ٧٠٧).

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢١/ ٢٧٧).

(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢١/ ٢٧٧).

(٥) الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق / عائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ (١٤١٩هـ) / دار المعارف الطبعة: الثالثة / عدد الأجزاء: ١/صـ ٢٤٢.

(تزويج النفوس ، وتسعير الجحيم) جاء الفعل معهما بصيغة (التكثير) (فُعِّل)، وفي ذلك يقول (الفيروزبادي) : وقد" خُصت هذه السورة بـــ (سُجِّرت)؛ موافقة لقوله تعالى (سُعِّرت) ليقع الوعيد بتسعير النار وتسجير البحار، وهذه أشياء كلها زالت عن أماكنها، فلاقت كل واحدة قرائنها"[(١)] ؛ فلذلك جاء الفعل(زوِّجت) مع النفوس، إضافة إلى مجيء صيغة (أُفْعِلَتْ) مع الجنة في قوله تعالى﴿ **وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَت** ١٣﴾ بهمزة التعدية، وكأن هذه الهمزة شاركت في تقريب الجنة، وإبرازها لأصحابها الذين وُعدوا بها، حتى إنها بدت لهم سهلة المُدخل مُيسَّرة الولوج، وهذا ما ساهم في تحقيقه صيغة (أُفْعِل) وكأن الأقدام تتزحلق إليها بيسر وسهولة، أو أن الجنة قُرِّبت من أهلها، أي "جُعلت بقرب من محشرهم بحيث لا تعب عليهم في الوصول إليها وذلك كرامة لهم..." [(٢)]

وأما عن تلك النسبة بين مرات ورود صيغة (فُعِّلت) وصيغة (فُعِلت) والتي هي بنسبة (٦٦.٦)% للصيغة الأولى، و(٧١.٤)% للصيغة الثانية فإن نسبة الصيغة الثانية أكثر لإفادة أن مشاهد الكون الغيبي أو عالم الملكوت إنما هي حقيقة أكبر من أن تُدرَك بالمشاعر أوالتصورات المقيدة بالحسّ المألوف والتفكير وأكبر ما نعهده من أي اختلال يمكن أن تراه عين.

يتضح مما سبق أن الإيقاع الصرفي أو (إيقاع الصيغ) في أول سورة (التكوير) انقسم إلى إيقاعين (إيقاع آيات عالم الشهادة) وجاء فيه تغليب صيغة (فُعِّل) بالبناء للمفعول والتثقيل للدلالة على شدة الأفاعيل في هذه الأشياء مما

---

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز /الفيروزآبادى / تح. : محمد علي النجار / المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة / (١/ ٥٠٤).

(٢) التحرير والتنوير / ابن عاشور التونسي (١٣٩٣هـ) / الدار التونسية للنشر – تونس/ ١٩٨٤ هـ . (٣٠/ ١٥٠).

أدى إلى تغييرها عن صورتها المعهودة تمامًا، فناسبت هذه الصيغة تلك المشاهد التي يحدث فيها تغييرٌ للمألوف أو المعتاد ، يتبعه اختلال النظام الكوني عند قيام الساعة ، بينما جاء (إيقاع آيات عالم الغيب) بتغليب صيغة (فُعِل) بالبناء للمفعول فقط لمناسبة أجواء هذا العالم الغيبي المجهول، فجاء الحديث منصبًّا ومركزًا على الحدث وفقط ، وفي الجمع بين الصيغتين تتحصل الفائدة من هذه السورة وهي تحقيق التأثير النفسي المطلوب في تخويف الإنسان من اليوم الآخر، ودفعه إلى التفكير قبل معصية أوامر الله؛ لأن الأعمال ستحضر للحساب.

وبهذا ينتهي الجزء الأول من المقطع الأول من هذه السورة المباركة الخاص باستحضار أهوال يوم القيامة ومشاهدها، ليبدأ الجزء الثاني من المقطع نفسه من هذه السورة وما فيه من القسم بمشاهد كونية بديعة على صدق رسوله ــ ***صلى الله عليه وسلم*** ــ وصدق ما جاء به ، ولعله من اللافت للنظر إيثار التعبير القرآني هذه الصيغ الثلاث (فُعِّل، فعْلل، تفَعَّل) عقب الصيغتين(فُعِّلَ، فُعِلَ) في قوله تعالى﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ١٦ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ١٧ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ١٨ ﴾ [التكوير/ ١٥ :١٨] فإن التعبير القرآني ما لبث أن انتقل إلى إيقاع صيغي آخر ، فانتقل من صيغتي (فُعِّلَتْ ، وفُعِلَتْ) إلى (فُعَّلْ ، فعْلَلَ ، تفَعَّل)، أما عن الصيغة الأولى (فُعَّلْ) فقد جاءت في آيتي القسم (بالخنَّس ، وبالجوار الكنس) ، و(الخنس) "جمع خانسة، وهي التي تخنس، أي تختفي، يقال: خنست البقرة والظبية، إذا اختفت في الكِناس...، والكُنَّس: جمع كانسة، يقال: كنس الظبي، إذا دخل كِناسه (بكسر الكاف) وهو

البيت الذي يتخذه للمبيت..."[١]،والمقصود من هذه الصفات(الخنس، الجوار الكنس) الكواكب، وُصِفت بذلك لأنها تكون في النهار مختفية عن الأنظار مثل البقرة الوحشية المختفية في شجر ونحوه؛ لأن الخنوس اختفاء الوحش عن أنظار الصيادين ونحوهم دون سكون في كناس، فكذلك الكواكب لأنها لا تُرى في النهار لغلبة شعاع الشمس على أفقها وهي مع ذلك موجودة في مطالعها، كما أنها حالة بُدُوِّها وظهورها بعد احتجابها تكون مثل الوحش تجري بعد خنوسها وهذا يقتضي أنها صارت مرئية فلذلك عقَّب بعد ذلك بوصفها بالكنس، أي عند غروبها تشبيهًا لغروبها بدخول الظبي أو البقرة الوحشية كِناسها بعد الانتشار والجري[٢]، وقد جاء التعبير عن هذين الحالين بصيغة (فُعَّل) ، وهذه الصيغة من أمثلة جموع الكثرة، وهي "مطردة في كل وصف صحيح اللام على فاعل وفاعلة نحو: عاذل وعُذَّل، وعاذلة وعُذَّل .... " [٣] ، أي أن هذا البناء (فُعَّل) بضم أوله وتشديد ثانيه يكون جمعًا مقيسًا مطردًا لكل وصف على زنة فاعل وفاعلة، حال كونهما صحيحي اللام ، سواء صحت عينهما أم اعتلت. مثل : ضارب وصائم، ومؤنثيهما: ضاربة وصائمة، فتقول في جمعهما: ضُرَّب وصُوَّم، وشَمِل نحو: حائض وحُيَّض ، وفي ذلك يقول الناظم [٤]:

وفُعَّلٌ لفاعل وفاعِلَهْ ... وصفَيْنِ نحوُ عاذِلٍ وعاذِلَهْ

---

(١) التحرير والتنوير (٣٠/ ١٥٢).

(٢) ينظر هذا المعنى في التحرير والتنوير (٣٠/ ١٥٢).

(٣) توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك (٣/ ١٣٩١) ، وينظر/شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (٤/ ١٢٣)، و شرح التصريح على التوضيح (٢/ ٥٣٥) .

(٤) شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك صـ٥٥١.

فهذه الصيغة (فُعَّلْ) بكونها من أمثلة جموع الكثرة تتناسب مع كثرة النجوم الخانسة الجوارِ الكانسة ، كما أنها تتناسب مع كثرة هذه الأفعال من النجوم ، فهذه النجوم يكثر معها الخنوس والجري والكنوس، وقد جاء التعبير بهذه الصيغة سوقًا للصيغ على سمت الأحداث .

أما عن الصيغة الثانية (فَعْلَلْ) في قوله تعالى (والليل إذا عسعس) فقد انتقل الإيقاع الصيغي من صيغة (فُعَّلْ) إلى صيغة (فَعْلَلْ) ، وهذه الصيغة أطلق (الخليل بن أحمد) عليها مصطلح (الحكاية المضاعفة) فقال :" وأما الحكاية المضاعفة فإنها بمنزلة الصلصلة والزلزلة وما أشبهها يتوهمون في حسن الحركة ما يتوهمون في جرس الصوت يضاعفون لتستمر الحكاية في وجه التصريف، والمضاعف في الحكايات وغيرها ما كان حرفا عجزه مثل حرفي صدره وذلك بناء يستحسنه العرب...، وينسب إلى الثنائي لأنه يضاعفه" [(١)] ، وعلى هذا يكون هذا البناء من أبنية الثنائي المضاعف ، ومن العلماء من أطلق عليه مصطلح (الثنائي المكرر[(٢)] ، أو الرباعي المضعف أو المكرر[(٣)]) ، وعلى كل فإن المضعف من "ضاعف الشيء إذا زاد عليه فجعله اثنين أو أكثر ..." [(٤)] ، ومضعف الرباعي هو الذي تكون فاؤه ولامه الأولى من جنس، وعينه ولامه الثانية من جنس آخر، نحو (زلزل، ودمدم،

---

(١) العين (١/ ٥٥).

(٢) ينظر / توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك (٣/ ١٥٣٤)، شرح الأشمونى لألفية ابن مالك (٤/ ٦١) ، النحو الوافي (٤/ ٧٥٣).

(٣) ينظر في ذلك الممتع الكبير في التصريف (ص: ١٧٢)، وتداخل الأصول اللغوية وأثره في بناء المعجم (١/ ١٨٣)، جمهرة اللغة : دار العلم للملايين – بيروت/ الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م /عدد الأجزاء: ٣ / ج١/١٢٤

(٤) شرحان على مراح الأرواح في علم الصرف (ص: ٨٠ ، ٨١).

وعسعس)، ويسمى مطابقا أيضًا نحو زلزل ، ووسوس، وشأشأ" [١]؛ ولما كانت حروف هذا البناء مكررة فإنها في الغالب الأعم "تحكي تَكرار المعنى الذي تدل عليه مادتها اللغوية (فصرصر) تكرار صرّ،(وكبكب) تكرار كبّ ، (ودمدم) تكرار دمّ، ...."[٢] ، وألفاظ القرآن الكريم قد حوت ألفاظًا من هذا البناء ــ الرباعي المكرر ــ للدلالة على تكرار الحدث الذي تدل عليه المادة اللغوية ،ولا شك أن هذا التكرار يوحي بتكرار المعنى وقوته ، فتَرْكُ الثلاثي المضعف (عسّ) والإتيان بالرباعي المكرر (عسعس) لابد وأن يستوجب زيادة في المعنى وتكرارًا.

وقد جاء التعبير القرآني بهذه الصيغة (فعلل) في قول الله تعالى (والليل إذا عسعس) ، بمعنى : إذا أظلم، وهذه الصيغة بتكرار حرفي صدرها توحي بهذا التكرار في المعنى، فصيغة (عسعس) مؤلفة من مقطعين: (عس ـــ عس)، وهذان المقطعان أضفيا على الليل صفة الحياة ، وكأنه يعس في الظلام بيده أو برجله في خفة بحيث لا يُرى، كما أنه يوحي بهذه الحركة البطيئة التي يدخل بها الليل بتدرج وخفة، وهذا المعنى مأخوذ من الأصل اللغوي (ع س) الذي يدل على :" الدنو من الشيء وطلبه، وعلى خفة في الشيء..." [٣]، ويمكن الجمع بين المعنيين بالقول : إن العسعسة والعساس: "رقة الظلام،

---

(١) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (٤/ ٢٧١).

(٢) قوة اللفظ لقوة المعنى في القرآن الكريم دراسة تحليلية / أ . د. أحمد علي محمود ربيع / بحث منشور في حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات ــ بني سويف / العدد الأول / ١٤٢٩هـ ــ ٢٠٠٨ م / مكتبة دار العلم ــ الفيوم. صـ١٦.

(٣) مقاييس اللغة /ابن فارس (٣٩٥هـ) تح: عبد السلام محمد هارون / دار الفكر/عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م (٤/ ٤٢).

وذلك في طرفي الليل..."[1] ، وكأن الظلام يطلب الليل ويدنو منه وذلك في مبدأ الليل ويتركه في منتهاه ، وهذه الصيغة تخلع على الليل صفة الحياة وتصوره وكأنه " قفل راجعا، وذهب ظلامه الذي كان مخيما على الكون.... ، فالليل، متحرك، وليس ثابتا.. إنه يجرى إلى كِناسه، كما تجرى الكواكب إلى كناسها.." [2] ويترك الظلام ، ثم ما يلبث أن يخيم عليه الظلام ثانية ، وهكذا يستمر الحال بين انسلاخ النهار من الليل ، والليل من النهار ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ﴾ [النور:٤٤] ، وهذه العملية ــ أي تقليب الليل والنهار ــ تتناسب مع التعبير بهذه الصيغة ذات المقطعين المتماثلين دلالة على تكرار هذه العملية ذهابًا وإيابًا ،كما أن في التعبير بهذه الصيغة ذات المقطعين المتماثلين دلالة على أن هذه اللفظة " من الأضداد يقال: عسعس، إذا أقبل ظلامه، وعسعس، إذا أدبر ظلامه ، أقسم الله بإقبال الليل وإدباره معا ...، وبذلك يكون إيثار هذا الفعل لإفادته كلا حالين صالحين للقسم به فيهما لأنهما من مظاهر القدرة إذ يعقب الظلام الضياء ثم يعقب الضياء الظلام، وهذا إيجاز..." [3] ، ولا أنسب من هذه الصيغة ذات المقطعين المتماثلين بدلالتها على المعنى وضده من التعبير عن منظر متكرر من مناظر الطبيعة ، وهو إقبال الليل بظلامه الذي يتكرر بصورة يومية فتسكن على إثره الحركة، ويرجع كلٍ إلى مأواه ، بما يتناسب مع صوت (السين) بهمسه ورخاوته ، ثم إدبار هذا الظلام عن الليل ومجيء النهار بضوئه ووضوحه فيصحو الوجود

---

(١) المفردات في غريب القرآن / الراغب الأصفهانى (٥٠٢هـ) / تح. صفوان عدنان الداودي / دار القلم،الدار الشامية – دمشق بيروت / ط١ – ١٤١٢هـ صـ ٥٦٦ .

(٢) التفسير القرآني للقرآن (١٦/ ١٤٧٢).

(٣) التحرير والتنوير (٣٠/ ١٥٤).

بمجيئه بما يتناسب مع صوت (العين) بنصاعته ووضوحه ، فهذه الصيغة مكونة من مقطعين مكررين من صوتي (العين ، والسين) تتناسب مع عملية تعاقب الليل والنهار، بما يتناسب مع سكون الليل وسكون الحركة فيه ، ووضوح ضوء النهار وعودة الحياة فيه .

ثم تأتي الصيغة الأخيرة (تفَعَّل) في قوله تعالى ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ١٨﴾ [التكوير/ ١٨] ، لتضفي على هذه الصورة أقوى معاني الحياة ، فها هو الصبح يتنفس، " وتنفُّس النهار عبارة عن توسعه" [١] ، أي : انتشر وتتابَع ضوؤُه ، ولا يخفى أن التعبير بهذه الصيغة (تفعَّل) التي من معانيها "التدريج، كتجرّعتُ الماء، وتحفَّزتُ العلم: أى شربت الماء جرْعة بعد أخرى، وحفظت العلم مسألة بعد أخرى...." [٢] ، يتناسب والدلالة على أن ظهور ضوء النهار في المشرق من أشعة الشمس شيئًا فشيئًا يتشابه ويتشارك مع إخراج النفَس مشاركة شديدة ، ويدل على بدء مظاهر الحياة شيئًا فشيئًا؛ وذلك لأن أصل التنفس من النفس، وهو بداية الحياة.

ولا شك أن إيثار التعبير القرآني لهذه الصيغة تحديدًا يُلمس معها استحضار حالة "اليقظة الشاملة للكون بعد هدأة الليل، فكأنما كانت الطبيعة هاجعة هادئة، لا تُحِسُّ فيها حركة ولا حياة، وكأنما الأنفاس قد خفتت حتى لا يكاد يُحَسُّ بها ولا يُشعَر، فلما أقبل الصبح صحا الكون، ودبت الحياة في أرجائه...." [٣] ، وهذا ما يوحي به التعبير بلفظة (تنفَّس) من إثارة معنى

---

(١) المفردات في غريب القرآن (ص: ٨١٨).

(٢) شذا العرف في فن الصرف / للحملاوي (١٣٥١هـ) تح. نصر الله عبد الرحمن نصر الله / مكتبة الرشد الرياض /صـ ٣٣.

(٣) من بلاغة القرآن / أحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي (١٣٨٤هـ) نهضه مصر – القاهرة / ٢٠٠٥ صـ ٥٧ .

الحياة التى تعم الكون عند مطلع الفجر ، وكأنها تحمل معنى الحياة التى دبت في الكون بعد طول سباته، وتصور الوجود وقد بدأ يفتح عينيه وينهض من سبات، وهذا ما يوحي به الخروج من سكون عين الفعل إلى الحركة (تفعْعَل)، فالسكون إشارة إلى الهمود والسبات ، ثم تأتي الحركة فتحول هذا الهمود والسبات إلى حركة ونشاط .

وبهذا يتضح مدى دقة التعبير القرآني في رسم هذه الصورة البديعة لهذه الكواكب كما أنه قد خلع الحياة على هذه الكواكب فجعلها تجري وتتحرك، وتختبئ في كناسها، ثم ترجع في جهة أخرى وهكذا هي في حركتها، دائمة الظهور والاختفاء، والليل أيضا شخص يتحرك، يعسّ في الظلام، والصبح أيضا حي يتنفس كما يتنفس الأحياء.

وأخيرًا يبدأ المقطع الثاني من هذه السورة المباركة الذي يعد بمثابة جواب القسم السابق على صفة هذا الكتاب الذي جاء به هذا الرسول الكريم ــ ***صلى الله عليه وسلم*** ــ ، وصفة الرسول الذي يتلقاه ، وموقف الناس من ذلك ، وهذا الجواب يعتبر"كناية على أن ما نزل به صدق؛ لأن كمال القائل يدل على صدق القول..." [1] ؛ ولهذا تنوعت البنية الإيقاعية الصرفية في هذه الآيات بين عدة صيغ أكثرها ورودًا صيغة (فعيل : كريم ، مكين، أمين، ضنين، رجيم)، (مفعول : مجنون) ،ثم (مُفعِل: مُبين) ،و(تفعلون : تذهبون)، ثم(يستفعل: يستقيم)، و(فاعلين : عالمين)، أما عن الصيغة الأولى (فعيل) التي هي صفة مشبهة تدل على أن هذا الوصف ثابت في صاحبه أو كالثابت ، طبيعة أو كالطبيعة فقولك:(كريم ، مكين ، أمين ، ضنين) يعني أن هذه الصفات "كالطبيعة في صاحبها أو كالسجية، كما أن صيغة (فعيل) لا تطلق إلا

(١) التحرير والتنوير (٣٠/ ١٥٥).

على ما اتصف به صاحبه فعلًا ، فلا تقول : هو قتيل لمن لم يُقتل بالفعل ولا تقول هو جريح لمن لم يُجرح ، بخلاف صيغة (مفعول) التي تحتمل الحال والاستقبال وغيرهما، فتقول: هو (مقتول) لمن حق عليه القتل ولم يُقتل بعدُ [١] ، وعلى هذا فلا أنسب من هذه الصيغة في هذا المقام (مقام القسم على صدق ما جاء به محمد ــ ***صلى الله عليه وسلم*** ــ) وذلك بإثبات صفات الكمال لشخص (جبريل) ــ ***عليه السلام*** ــ أو لجناب النبي الكريم ــ ***صلى الله عليه وسلم*** ــ على حد اختلاف المفسرين في المراد من الرسول (جبريل ــ ***عليه السلام*** ــ ، أم محمد ــ ***صلى الله عليه وسلم*** ــ) ، فالمقصود منهما ــ ***صلى الله عليها وسلم*** ــ كريم نفيس في نوعه ، مكين: من مكُن بضم الكاف مكانة، إذا علت رتبته عند غيره، أمين : من أمُن بضم الميم إذا صارت الأمانة سجيته، أو مأمون ، ليس ضنينًا بخيلًا لا يعطي ما عنده مشتق من الضن بالضاد مصدر ضن، إذا بخل، ومضارعه بالفتح والكسر.

أما صيغة (رجيم) فهي فعيل بمعنى (مفعول) وتدل على أن"الوصف قد وقع على صاحبه بحيث أصبح سجية له أو كالسجية ، ثابتًا أو كالثابت فقولك: هو (حميد) أبلغ من قولك : هو (محمود) ؛ لأن حميدًا يدل على أن صفة الحمد له ثابتة ، وكذا الرجيم أي الذي يستحق الرجم على وجه الثبوت .....، فصيغة (فعيل) بمعنى (مفعول) تدل على الثبوت أو على معنى قريب من الثبوت بخلاف صيغة (مفعول) الدالة على الحدوث فقط "[٢] ، وعلى هذا فإن (رجيم) بمعنى مرجوم، والمرجوم: "المبعد الذي يتباعد الناس من شره فإذا

---

(١) ينظر في هذا معاني الأبنية د. فاضل صالح السامرائي / ط٢ / دار عمار للنشر والتوزيع / ١٤٢٨هـ ــ ٢٠٠٧م صـ ٥٣ ، ٥٤ .

(٢) ينظر معاني الأبنية صـ٥٤ .

أقبل عليهم رجموه فهو وصف كاشف للشيطان لأنه لا يكون إلا متبرأ منه"[1] للدلالة على أن هذه الصفة وهي (الرجم) والطرد صفة ثابتة ملازمة للشيطان ؛ حيث تأبى المصاحبة اللغوية بين اللفظتين أن يفترقا ، فإذا ذُكرت إحداهما مفردة استدعت الثانية، فالشيطان هو الرجيم ، والرجيم هو الشيطان .

وأما عن الصيغة الثانية (مفعول) والتي لم ترد إلا في قوله تعالى(وما صاحبكم بمجنون) فهي (اسم مفعول) للدلالة على نفي صفة الجنون عن شخص النبي الكريم ــ ***صلى الله عليه وسلم*** ــ وجنابه فاكتفى بصيغة (مفعول) للدلالة على مجرد نفى هذه الصفة فقط .

يتضح مما سبق أن البنية الصرفية لهذه السورة المباركة قد تنوعت بحسب تنوع المشاهد ، فآيات أهوال القيامة ناسبها التعبير بصيغة المبني للمفعول المتمثل في صيغتي (فُعِّلَتْ ، وفُعِلَتْ)، وآيات القسم بمشاهد كونية تدل على عظمة الخالق وتفرده بالوحدانية ناسبها التعبير بصيغ (فُعَّلْ، وفعْلَلَ، وتفَعَّل)، ومشاهد القسم على كون القرآن الكريم قول رسول كريم ناسبه التعبير بصيغة الصفة المشبهة (فعيل) ، وقد تضافرت هذه الصيغ جميعها في إحداث حالة من الانسجام والتواؤم والإيقاع في البنية الصرفية للسورة بصورة تؤثر في المتلقي .

(١) التحرير والتنوير (٣٠/ ١٦٤)

ـ المطلب الثالث:

لغة النص القرآني في سورة (التكوير) على المستوى التركيبي[١]:

إن المتأمل في هذه السورة المباركة يتضح له أن هذه السورة من أولها إلى آخرها كما يقول (الفيروزبادي):"شرط وجزاء، وقسم وجواب..."[٢]، وهذان الأسلوبان، أي (الشرط، والقسم تخللهما (استفهام، ونفي) ليكون النسق التركيبي لهذه السورة على أربعة أنساق، وهي :(الشرط ، والقسم ، والاستفهام، والنفي).

أما النسق الأول وهو: (الشرط) والذي حدَّه (النحاة) بأنه :"ترتيب أمر على أمر آخر بأداة..." [٣] ، أي أن أسلوب (الشرط) مبنيٌّ على التعليق، والترتيب، وذلك لا يكون إلابأداةٍ من أدوات الشرط، وعلى هذا يمكن تعريف جملة الشرط بأنها :جمعُ وترتيبُ كلامٍ على آخر، وتعليقه عليه، بأداةٍ من أدوات الشرط، لإفادة معنى مستقل، فهذه السورة واحدةٌ من سبع سور تبدأ بأداة الشرط (إذا) [٤] ، وهذه السورة وإن اتفقت مع السور الست ببدئها بأداة الشرط

---

(١) يمكن أن يصطلح على تسمية هذه السورة ونظيراتها: المجموعة الشرطية، أو القسم الشرطي من سورالقرآن الكريم/ ينظر/خصائص التعبير القرآني وسماتهالبلاغية (٢٠٧/١).

(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (١/ ٥٠٤).

(٣) المعجم الوسيط / مجمع اللغة العربية بالقاهرة / إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات /محمد النجار) / دار الدعوة (١/ ٤٧٩).

(٤) هذه السور هي : الواقعة ، المنافقون ، التكوير ، الانفطار ، الانشقاق، الزلزلة ، النصر ، وتشترك هذه السور في عدة خصائص منها أن في معظم هذه السور حديثًا عن القيامة ومقدماتها، وأن الشرط قد تردد كثيرا في السورة الواحدة ولم يقتصر وروده على مطلع السورة، ومن الخصائص أيضا أن في موضوعات هذه السور السبع أمورا مستقبلية في الغالب استقبالا حقيقيا كما سيحدث في مقدمات القيامة وأهوال الحشر، أو استقبالا باعتبار الحكاية كمجيء نصر الله في مطلع سورة النصر.

(إذا) إلا أنها تفردت عن هذه السور باشتمالها على اثني عشر حدثا يلابس قيام الساعة ، وهذه الأحداث الاثنا عشر توالت تباعًا ، أي أن أداة الشرط (إذا) تكرر ذكرها في بدء اثنتي عشرة آية في بداية هذه السورة، إضافة إلى ورودها في صورة (إذا الظرفية) مرتين في الآيتين (١٧، ١٨) ، أي أن التعبير القرآني في هذه السورة لم يكتفِ بفعلِ شرطٍ واحد أو اثنين أو ثلاثة كما هو الحال في بقية السور الست بل قرن به أشباها ونظائر يطول تأمل السامع فيها ويضاعف من تشوقه كلما انتقل من جزء إلى جزء حتى يصل إلى اثني عشر شرطًا ، ومن ثم يأتي الجواب بعد طول ترقب، ولعل القيمة اللغوية للاستفتاح بالشرط أن المطْلَعَ الشرطيَّ يمتاز"بربطه بين أجزاء الكلام ربطًا ملاحَظًا فيه ترتُّبَ السبب على السبب ، فإذا ذكَرْتَ أداة الشرط وأردَفْتَ بفعل الشرط تشوقت النفس إلى ذكر ما سيكون، فإذا ذكِر الجواب بعد هذه الإثارة وهذا التشويق تمكن أيما تمكن"[١] وإذا كان الأمر كذلك في المطلع الشرطي وحده فإن هذا الأمر يزداد في سورة (التكوير) خاصة؛ لتوالي أكثر من أسلوب شرط في مطلعها ، ومما يضاعف الإثارة والتشويق أن أجزاء الأسلوب الشرطي في السورة ليست من جنس ما يستعمله الناس من أمور عادية قد لا يهتم بها إنسان، كما أنها ليست مما يسهل معها التنبؤ بما سيكون عليه الحال ، بل فيه – فوق دقة النظم وجمال التركيب – غرابة وجزالة..."[٢]، وأسلوب (الشرط) في سورة (التكوير) يتألف من (إذا + اسم مرفوع + صيغة (فُعِّل ، أو فُعِل ، أو انفعل)، وأما عن الافتتاح بـ (إذا) فهو"افتتاح مشوق؛ لأن (إذا) ظرف يستدعي متعلقًا، ويؤذن بذكر جواب بعده،

(١) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية (١/ ٢٠٨).

(٢) ينظر/ خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية (١/ ٢٠٩).

فإذا سمعه السامع ترقب ما سيأتي بعده فعندما يسمعه يتمكن من نفسه كمال تمكن...، وفي إعادة إذا إشارة إلى أن مضمون كل جملة من هذه الجمل الثنتي عشرة مستقل بحصول مضمون جملة الجواب عند حصوله...."[١]، إضافة إلى أن (إذا) تختص"بالأمر المتيقن منه أو الذي ترجح حصوله "[٢] وفي هذا دلالة على تحقق وقوع جواب (إذا) ؛ لأن الساعة آتية لا ريب فيها، ومشاهد القيامة موضع اهتمام فيها ؛ لذا بُدئت السورة بـ(إذا) وصُدِّرت كل مشاهد القيامة بها ، وكأن الأسلوب القرآني آثر التعبير بـ(إذا) الشرطية للدلالة على حتمية المصير (الجواب)ووقوعه لا محالة، وأما عن (الاسم المرفوع) بعد (إذا)"فإنه مرفوع بفعل محذوف وجوبًا (يفسره الفعل المذكور)، ومثال ذلك قوله تعالى﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ۝١﴾ {الانشقاق:١] فالسماء فاعل بفعل محذوف والتقدير: إذا انشقت السماء انشقت وهذا مذهب جمهور النحويين..."[٣] أي أن الفعل إذا دل دليل عليه فإنه يحذف كقوله تعالى ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ ۝٦﴾ {التوبة:٦} فأحد فاعل بفعل محذوف وجوبًا والتقدير وإن استجارك أحد استجارك وكذلك كل اسم مرفوع وقع بعد إن أو إذا .

(١) التحرير والتنوير (٣٠/ ١٤٠).

(٢) الجنى الداني في حروف المعاني / للمرادي (٧٤٩هـ) تح: د فخر الدين قباوة / دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان / ط١، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م .صـ٣٦٧، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع /السيوطي / تح. عبد الحميد هنداوي /المكتبة التوفيقية – مصر (٢/ ١٧٩).

(٣) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (٢/ ٨٦).

مما سبق يتضح أن التعبير القرآني آثر الجملة الشرطية في هذه السورة للدلالة على تماسك هذه المشاهد وترابطها مع بعضها البعض مما يعني أن المتلقي في حالة انتباه ويقظة وحضور ذهني وعقلي وقلبي لما يُلقى لمعرفة جواب كل هذه الشروط التي توالت تباعًا ، وكأنه يستشعر كل هذه المواقف بجميع حواسه ويتصور حدوثها فيترسخ عنده المقصود الأعظم من هذه السورة وهو تجريد النفس من كل ما تركن إليه وتطمئن به من متاع الدنيا الزائل، ولجوئها إلى كنف الله وحماه، فتطلب عنده الأمن، والطمأنينة، والسكينة فتقر به إلها وربا ووليًا فتأتمر بأوامره وتنتهي عن نواهيه فتكون من الفائزين .

وأما النسق الثاني وهو : الاستفهام :

فقد ورد في هذه السورة المباركة مرتين:

ــ الأولى: في توجيه سؤال للموءُدة ﴿بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتۡ ۝٩﴾ {التكوير:٩} ، والموءودة هي البنت تدفن حية ، وهذه اللفظة مأخوذة من الأصل اللغوي (و أ د) الذي يدل على :" إثقال شيء بشيء، يقال للإبل إذا مشت بثقلها: لها وئيد، أي مشيا بثقل، والموءودة من هذا؛ لأنها تدفن حية، فهي تثقل بالتراب الذي يعلوها...." [١] ، ثم تغيب في الأرض ، يقال : " تودأت عليه الأرض إذا غيبته وذهبت به"[٢] ، أي أن الأرض تلقفت هذه الموءودة واحتضنتها في باطنها بعد ما لفظها أبوها ونبذها بكل قسوة وغلظة ، وإنما وُجه السؤال إلى الموءودة في مواجهة من وأدها، مع أن الأولى– في ظاهر الأمر– أن يُسأل الجاني لا المجني عليه– في هذا تشنيع وتبكيت للجاني ومواجهة له بالجريمة

(١) مقاييس اللغة (٦/ ٧٨).

(٢) لسان العرب (٣/ ٤٤٣).

التي أجرمها، ووضعها بين يديه، ليرى تلك الجناية الغليظة المنكرة، وليسمع من قتيلته التي ظنّ أنه سوّى حسابه معها، ليسمع منطقها الذي يملأ قلبه فزعا ورعبا..." [١] ، وما أشد هذا الموقف ، وما أصعب هذا المشهد الذي يُؤتى فيه بالمقتول فيُسأل عن ذنب قتله ، ولا شك أن سوق هذا المشهد بهذا النسق(نسق الاستفهام) فيه "إدخال الروع على مَن وأدها، وجعل سُؤالها عن تعيين الذّنب الذي أوجَب قتلها؛ للتعريض والتوبيخ والتخطئة للذي وأدها، وليكون جوابُه شهادةً على من وأدها فيكونَ استحقاقُه العقابَ أشدّ و أظهر، ويفيد الاستفهام هنا : التهديد والوعيد وإقامة الحجّة على من وأدها بغير ذنب، وتهويل الموقف في ذلك اليوم المشهود." [٢]

ولا شك أن توجيه السؤال إلى الطرف المجني عليه لا الجاني يتناسب مع حال يوم القيامة وما يكون فيه من انقلاب شامل فى صورة العالم التي ألفها الإنسان، وعاش فيها بحواسه المحدودة ، فكل ما ألفه الإنسان واعتاد عليه لم يعد ممكنًا أو متاحًا : محسوسًا كان أم معقولًا ، فإنه لما انقلب حال الشمس والنجوم، والجبال، والعشار، والبحار، وكل شيء محسوس كذلك انقلب الحال في الأمور المعقولة فأصبح الذي يُسأل عن الجرم والذنب هو المجني عليه لا الجاني، وكل هذا له الأثر الأكبر في تفزيع هذا القاتل، وتخويفه تخويفًا ينهار معه كل كيانه كما فعل مع هذه الموءودة ؛ جزاءً وفاقًا.

---

(١) التفسير القرآني للقرآن (١٦/ ١٤٦٩ ، ١٤٧٠).

(٢) دراسة صوتية صرفية تركيبية لسورة التكوير" مذكرة تخرّج لنيل شهادة ليسانس في الأدب العربي ــ جامعة أبي بكر بلقايد * تلمسان(الجزائر)قسم اللغة والأدب العربي/ إعداد الطّالب عبدالفتّاح شقراني/إشراف الأستاذة:حورية مرتاض (٢٠١٤م ١٤٣٦هـ) صـ ٣٣.

ــ وأما عن الاستفهام الثاني في هذه السورة المباركة فقد ورد في قوله تعالى﴿ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [التكوير:٢٦] ، وهذا الاستفهام جاء معترضًا بين قوله تعالى ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ [التكوير:٢٥]، وقوله تعالى ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [التكوير:٢٧] ، وكأن مجيء هذا الاستفهام بين الحجج المثبِتة صدْقَ القرآن الكريم وصدْقَ مَن جاء به بمثابة "استضلال لهم ، يقال لتارك الجادة اعتسافًا: أين تذهب؟ ...." [١] فهم لما ضلوا الطريق الصحيح خاطبهم مستنكرًا حالهم في تركهم الحق وعدولِهم عنه إلى الباطل، والمعنى: أيُّ طريق تسلكون أبْيَن من هذه الطريقة التي قد بينتُ لكم، ويجوز أن يكون "الاستفهام مستعملًا في التعجيز عن طلب طريق يسلكونه إلى مقصدهم من الطعن في القرآن ، والمعنى: أنه قد سدت عليكم طرق بهتانكم إذ اتضح بالحجة الدامغة بطلان ادعائكم أن القرآن كلام مجنون أو كلام كاهن، فماذا تدَّعون بعد ذلك؟...." [٢] فكأن هذا الاستفهام يغلق في وجوههم كل أبواب الطعن في القرآن الكريم ومن جاء به سواء أكان استفهامَ تعجيزٍ أم استفهامَ إنكارٍ ، فالمحصلة واحدة وهي أنهم في ضلال وغواية تستدعي"تنبيه المخاطب على الضلال حين تدفعه بالاستفهام إلى التفكير وتدبر العواقب. "[٣] ، وقد أشار الشيخ (ابن عاشور) إشارة لطيفة بشأن هذه الجملة الاستفهامية فقال:" اعلم أن جملة «أين تذهبون» قد أُرسلت مثلا، ولعله من مبتكرات القرآن، وكنت رأيت في كلام بعضهم: أين يُذهب بك، لمن كان في خطأ وعماية" [٤]

---

(١) مفاتيح الغيب للرازي (٣١/ ٧١).

(٢) التحرير والتنوير (٣٠/ ١٦٤ ، ١٦٥).

(٣) من بلاغة القرآن (ص: ١٢٧).

(٤) التحرير والتنوير (٣٠/ ١٦٥).

يتضح من ذلك أن التعبير القرآني آثر مجيء أسلوب الاستفهام (فأين تذهبون) معترضًا بين الحجج والبراهين التي تُثبت صدق القرآن ومن جاء به للدلالة على بيان شدة ضلالهم وجهلهم ؛ بل هو استجهال لهم على أبلغ وجه في كل ما كانوا ينسبونه إلى الرسول ــ ***صلى الله عليه وسلم*** ــ بحيث صار ضلالُهم معروفًا لا لبس فيه، وهذا الاستفهام للتعريض بكذبهم وضلالهم في معرض التقريع، والتحقير، والتهوين، والتقليل من شأنهم.

وأما النسق الثالث وهو : القسم(١) :

بالنظر في أسلوب القسم في هذه الآيات ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ١٦ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ١٧ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ١٨﴾ {التكوير/١٥: ١٨] يتضح أن هذا الأسلوب يتألف من (لا النافية وفعل القسم) وهذا الاستعمال مألوف في التعبير القرآني ؛ حيث لم يستعمل (لا أقسم) إلا حين يكون الفعل مسندًا إلى الله تعالى ، أي " أن فعل القسم لم يأت في القرآن كله مسندًا إلى الله، إلا مع (لا) النافية ، كما لم تأت (لا) النافية مع فعل القسم مسندًا إلى غيره تعالى ، وعلى هذا فإن (لا أقسم) في القرآن لله وحده، دون غيره من الخلق" (٢)، وإنما جاء التعبير بهذا الأسلوب(لا أقسم) الذي استأثر به الله تعالى وتفرَّد به فلا ينازعه فيه أحد ؛ للدلالة على أن تفرُّد هذا الكتاب المقسم عليه بهذا الوصف فلا ينازعه فيه شيء، إضافة إلى أن هذه العبارة من عبارات العرب في

---

(١) ورد أسلوب القسم (لا أقسم) في مستهل بعض الآيات منها : [الواقعة: ٧٥]،[الحاقة: ٣٨]، [المعارج :٤٠]، [القيامة : ١، ٢] [التكوير :١٥] ،[الانشقاق: ١٦] ، [البلد: ١]. وكلها آيات مكية ...

(٢) التفسير البياني للقرآن الكريم (١/ ١٦٦) ، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق (ص: ٢٨٣).

القسم، يراد بها تأكيد الخبر، كأنه في ثبوته وظهوره لا يحتاج إلى قسم، ويقال إنه يؤتى بها في القسم إذا أريد تعظيم المقسم" [١] ، والمعروف في "أقسام القرآن أن تكون بالأشياء العظيمة الدالة على قدرة الله تعالى أو الأشياء المباركة" [٢]، فجاء القسم في هذه السورة بالفعل (أُقسم) ، وهذا الفعل يتناسب مع مقام القسم بالنُّجوم والكواكب باعتبارها آيات ناطقات بقدرته ؛ لعظمتها، (فالله تعالى لا يقسم إلا بعظيم) وهذه الأشياء المقسم بها تعد من الأشياء التي تدرك بالحواس كما أنها " تمثّل نظام الكون ومداراته المنظمة من غير أن تتصادم فيما بينها، وهذا من احتجاج الخالق على البشر في بديع صنعه وقدرته؛ لكي يستدرج الخصم إلى الاعتراف بما يجيء" [٣] أي جواب القسم .

وأما القسم في قوله تعالى﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ١٧ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ١٨ ﴾ فهو قسم في مقام "التوثيق لما سبق إنكاره، أو الإقرار والشهادة "[٤] بأن هذا الكتاب هو قول رسول كريم ، وهذا القسم لم يكن قسمًا عاديًا وإنما هو قسم مقيد بحالة معينة ؛ وذلك لمجيء (إذا الظرفية) معه، فهو قسم بالليل حال عسعسته ، وبالصبح حال تنفسه ، وكأنه قسم ووصف ليكون الاستدلال أعظمَ في النّفس؛ حيث إنه جمع بين مشهد الليل حال عسعسته ، ومشهد النهار حال تنفسه، أي أنه جمع بين عدَّة مشاهد في جمل متلاحقة، ليلفت الأنظار ويثير الانتباه "إثارة بالغة إلى حِسِّيات مُدرَكة لا تحتمل أن تكون موضع جدل ومماراة، توطئة إيضاحية لبيانِ معنوياتِ مُمارَى فيها، أو تقرير غيبياتِ ليست من الحسيات

(١) التفسير البياني للقرآن الكريم (١/ ١٦٥).
(٢) التحرير والتنوير (٣٠/ ١٥٤).
(٣) دراسة صوتية صرفية تركيبية لسورة التكوير صـ ٣٤.
(٤) الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق (ص: ٢٤٤).

والمدركات..."[١]، أي أنه بيان للمعنوي (وهو كون القرآن الكريم وحيًا من عند الله نزل به أكرم مَلك على أشرف رسول) بالحسي (وهو القسم بالخنس ، وبالليل إذا عسعس وبالصبح إذا تنفس) ، وعلى هذا يكون مجيء القسم على هذه الحالة ليلفت الأنظار إلى صورة مادية وواقع حسي يشهده الناس من عسعسة الليل إقبالًا أو إدبارًا ثم تنفُّس الصبح وإشراقه على الكون، وتعاقُب الظاهرتين الكونيتين كل يوم دون أن يكون في تواردهما ما يبعث على دهشة وإنكار، بل دون أن يخطر على بال أحد أن الليل تخلى عن أن يُغشي النهار بظلامه، أو أن الصبح تخلى عن أن يُجلي ظلمة الليل بضيائه ، فأي عجب في أن يكون هذا الذي جاء به محمدٌ – ***صلى الله عليه وسلم*** – من عند الله تعالى فيه ذكر للعالمين، وأن هذا القرآن في هدايته للناس كالصبح في إشراقه وبث الحياة في الكائنات بعد سكون وظلام ، وهذا ما عبر عنه هذا الجواب الذي ساقه الواحد الأحد ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ١٩﴾ {التكوير:١٩} والذي هو بمثابة شهادة من الله تعالى على كون القرآن الكريم وحيًا من عند الله نزل به أكرم مَلك على أشرف رسول – ***صلى الله عليها وسلم*** –.

يتضح مما سبق أن التعبير القرآني آثر مجيء أسلوب القسم على هذا الشكل (لا أقسم) أي بفعل القسم مسبوقًا ب(لا) النافية وذلك لأن المقام مقام تعريض بالقسم فليس المقصود وقوع القسم ذاته؛ وذلك لأن الأمر الواقع فى معرض القسم أظهر من أن يحتاج إلى توكيد وجوده بقسم ، فالله تعالى يتحدث في مقام القسم بهذا الأسلوب؛ تأكيدًا للثقة في قدرته التي لا نحتاج معها إلى يمين.

(١) الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق (ص: ٢٤٨).

وأما النسق الأخير وهو : النفي:

فقد ورد في هذه السورة في قول الله تعالى ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ {التكوير:٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥] ، وعند النظر في هذه الآيات يتضح أنها معطوفة على جواب القسم[١] ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾﴾ {التكوير:١٩} ؛ حيث إنه بعد أن أكد الله تعالى أن القرآن الكريم قول رسول كريم،"أبطل قولهم إبطالًا مؤكَّدا ومؤيَّدًا، فأما تأكيده فإنه بالقسم وبزيادة الباء بعد النفي، وأما تأييده فإنه بالحجج والبراهين، وهذه الآيات تنفي أن يكون القرآن من وساوس المجانين، فسلامة مُبلِّغه من الجنون تقتضي سلامة قولِه عن أن يكون وسوسة" [٢] ، وقد جاء النفي في هذه الآيات (بما النافية)، وجاء خبرها مؤكدًا بالباء على الأكثر كما قال النحاة:"وبعد (ما النافية، وليس) جرَّ الباء الزائدة الخبرَ كثيرٌ...."[٣]، نحو قوله تعالى ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾ [فُصِّلَت:٤٦] ، إضافة إلى تقديم الظرف في قوله تعالى ﴿***وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ٢٤***﴾ فقد قُدِّم الظرف في هذه الآية (على الغيب) للاهتمام به وذلك للتأكيد على أن سيدنا محمد – ***صلى الله عليها وسلم*** – أمين على الغيب الذي يحدِّثهم فيه ، وأنه ليس بساحر ولا كاهن، ولا شاعر ، يضاف إلى ذلك العدول عن التعبير عن سيدنا محمد – ***صلى الله عليها وسلم*** بقوله رسولكم إلى قوله (صاحبكم)، وسبب هذا العدول أن فى هذا

---

(١) التحرير والتنوير (٣٠/ ١٥٧) ، الجدول في إعراب القرآن الكريم / محمود بن عبد الرحيم صافي (١٣٧٦هـ) / دار الرشيد، دمشق – مؤسسة الإيمان، بيروت / ط٤، ١٤١٨ هـ (٣٠/ ٢٥٦).

(٢) التحرير والتنوير (٣٠/ ١٥٧).

(٣) شرح الأشمونى لألفية ابن مالك (١/ ٢٥٩).

"التعبير إشعارًا بإلزامهم بالحُجة إذ هو ملازم لهم وهم يعرفون تمامًا رجاحة عقله وحدة ذكائه وكريم سيرته، ألم يسموه قبلًا: الصادق الأمين؟" [١] ؛ لذا جاءت هذه الآيات لتنفي كلّ ما تُقُوِّل عليه بصيغة النفي الإنكاري المؤكّد بحجج دامغة وهو قوله تعالى(***صَاحِبُكُم***)؛لأنّ الصّاحب هو المعروف عندهم فما عرفوا عنه إلا الصّادق الأمين .

يتضح مما سبق أن التعبير القرآني آثر أسلوب النفي (بما) للتأكيد على أن محمدًا – ***صلى الله عليها وسلم*** – الذي تلقَّى الوحي عن جبريل كما أمره ربه، والذي بلَّغه للناس يتصف بصفة الرشد والسلامة من الآفات التي تُنقص من قدر أصحاب الرسالات فهو ليس بمجنون ، كما أنه ليس كاهنًا أو عرافًا يتلقى الأخبار عن الجن ، وعلى هذا يكون أمينًا في تبليغه لم يخلط فيه، ولم يلتبس عليه منه شيء ؛ لأنه عاقل رشيد ، وقد عزَّز التعبير القرآني وسائل التأكيد على هذا المعنى في هذه الآيات فجاء خبر (ما) مقترنًا بالباء للتأكيد على هذا الوصف ، إضافة إلى تقديم الجار والمجرور للاهتمام بشأنه، ثم العدول عن ذكر اسم النبي – ***صلى الله عليها وسلم*** لهم إلى قوله (صاحبكم) كل هذه المؤكدات أضفت على هذه الآيات طابع التأكيد الذي يؤثر تأثيرًا بالغًا في نفس المتلقي، الذي يستشعر مدى عناية الله تعالى به الذي اختار له هذا الرسول صاحب هذه الصفات الطيبة ليحمل الرسالة إليه، فيخجل هذا المتلقي من نفسه بتكبرها وتجبرها وعنادها مع عناية الله تعالى به وتفضله عليه بهذه الكرامة العظيمة .

(١) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية (١/ ٢١٢).

ـ المبحث الثاني

لغة الخطاب القرآني في سورة (التكوير) على المستوى الأدائي[1] :

انفرد الشيخ (عبد الباسط عبد الصمد) بأدائه المجوَّد لسورة التكوير أداءً خاصًا به ؛ حتى إنه اشتهر بأدائه الفريد الشهير هذا ، ولا شك أن هذا الأداء له عميق الأثر في نفس المتلقي ؛ حيث إن أداء الشيخ بدا وكأنه يرسم مشاهد السورة مشهدًا مشهدًا ، ويصور هذه المشاهد وكأنها ماثلةٌ أمام الأعين بدءًا من مشهد تكوير الشمس، مرورًا بمشهد انكدار النجوم ، ثم تسيير الجبال، وتعطيل العشار ، وحشر الوحوش، وتسجير البحار ، وتزويج النفوس ، وانتهاءً بسؤال الموؤودة عن سبب قتلها ، هكذا كل هذه المشاهد الثمانية جاء

---

(١) اعتمدت في التحليل الصوتي الأدائي (الأوكستيكي) على برنامج(praat) وقمت باحتساب ثلاث قيم في كل بنية مقطعية ، وهي العوامل الأساسية لتحديد موقع النبر الرئيس في الجملة ، وعن طريقها يمكن تحديد أي المقاطع استأثر بالنبر دون غيره ، وهذه العوامل هي : المدُة، والشدة، والتردد: أما المدة(duration) فهي: تقدر بأجزاء من ألف في الثانية، فننظر في مدد المقاطع، وهل يوجد مقطع يتفرد بالطول عن غيره من المقاطع بالكلمة؟ ، ومصطلح (المدة) يقصد به طول المقطع المنطوق مقاسا بالثانية أي : مقدار الزمن المستغرق في أداء منطوق ما ، وأما الشدة (intensity) و وحدة قياسها الديسيبل (Decibel)-فهي لمعرفة الضغط الواقع على المقطع، ولمعرفة ما إذا كان هناك مقطع ينفرد عن غيره من مقاطع الكلمة بمقدار الضغط عليه ، وأما التردد(pitch)(التنغيم) فهو: عدد الدورات الاهتزازية الواحدة للموجة الصوتية التي تحدث نتيجة المتغيرات التي تطرأ على الهواء الصادر من الرئتين مقاسا بالهرتز(Hertz) ، وهو وحدة قياس التردد التي نسبت إلى العالم الألماني هينرش هيرتز، ويشار إليها اختصارا بالرمز (H z)..ينظر في هذا / علم الصوتيات د. / عبد العزيز علام ، د. عبد الله ربيع / مكتبة الرشد /١٤٣٠ هـ ـ ٢٠٠٩ م صـ ٣٢٩ وما بعدها ، وينظر / نبر الاسم الجامد والمشتق دراسة فيزيائية نطقية/ أحمد سلامه الجنادبة ـ دراسات لغوية/ جامعة العلوم الإسلامية العالمية ـ عمان ـ ٢٠١٤م .صـ ٧٧ وما بعدها .

بها الشيخ في نفَس واحد ، وكأن الشيخ قصد حشد هذه المشاهد معًا في نفَس واحد لبيان مدى عنفوانية هذه المشاهد وتلاحقها ، وكأن كل هذه المخلوقات كانت قابعة بانتظار إشارةِ البدء من الخالق ــ جل وعلا ــ لتنطلق من عقالها جائحةً تقلب كل شيء ، وتُبدِّلُ كل معهود، وتهز النفس البشرية هزا عنيفًا طويلًا، يخلعها من كل ما اعتادت أن تسكن إليه من المخلوقات المسخرة لخدمة هذا الكائن البشري، فلم يعد هناك تسخير لخدمة الإنسان، وإنما هناك تمردٌ على كل شيء حتى الإنسان لم يعد شيء في الكون منقادٌ له، كل شيء جائح هائج ثائر، الكون كله انفرط عُقْدُ نظامه، وانتقل من طَوْرِ المعهود المألوف إلى طور الخروج عن هذا المعهود المألوف ، وهو دفن مَن فيه حياة، كما هو الحال مع من كان يئد الإناث، فقد خرج بفعلته هذه عن المألوف المعتاد، فالمعتاد أن يُدفن مَن فارق الحياة لا مَن فيه حياة ، فلما كان هذا الفعل الشنيع خروجًا عن المألوف، تجد أن الشيخ عبر عن هذا بالنبر على بداية قوله تعالى وإذا الموؤدة سئلت، حيث بلغ نبر الشدة فيه على بداية الآية (٨٥.٤) ديسبل، وكأن الشيخ جعل الجملة الرأس في هذه الآيات التسع هي هذه الجملة ، وجعل مشهد سؤال الموءودة عن سبب قتلها أشنع المشاهد السابقة كلها ؛ ولأن الله تعالى ذكر هذا الحدث وسط أحداث انقلاب الكون، فصار كأنه حدث كوني من هذه الأحداث العظام ، فقد أولى الشيخ هذا المشهد عناية خاصة بأن جاء نبره عليه إشارة إلى تشنيع هذا الفعل وتفظيعه ، والتنبيه على أن هذا الفعل في حد ذاته جُرم لا يُغتفر ، أي أنه فعلٌ مستنكر ، وقد عبر الشيخ عن هذا الاستنكار بالنبر على بداية هذا المشهد ، ثم تابع هذا الاستنكار بالنبر الثانوي على هذا السؤال الاستنكاري (بأي ذنب قتلت؟) فبلغ نبر الشدة فيه (٨٤.٨) ديسبل، ويمكن حمل ذلك على أن هذا المشهد تحديدًا

وهو وأد الإناث مشهد مألوف لهم كثيرًا ما كان يحدث منهم ، فهو مشهد مكرر الحدوث منهم ، وكذلك وقوفها أمام قاتلها وسؤاله عن سبب قتلها مشهد متوقع ، بينما كل المشاهد السابقة لم تحدث بعدُ أمام أحد، ولم يرها أحد بعينه، فكل مشهد من هذه المشاهد" غريب في هيئته وصورته، رهيب في حدوثه "[1]، بل لا يستطيع أحد تصور هذه المشاهد أو تصور كيفية حدوثها فلا يستطيع أحد تصور كنه تكور الشمس، ولا انكدار النجوم ، ولا تسيير الجبال، ولا تعطيل العشار، ولا حشر الوحوش ، ولا تسجير البحار، ولا تزويج النفوس، بينما سؤال الموءودة قاتلها عن سبب قتلها فهو أمر عادي مألوف يمكن توقع آلية وقوعه، فالفارق بين هذا المشهد وبقية المشاهد هو الإلفة فيه ، والغرابة فيهم ؛ لذا فإن الشيخ عبر عن هذا بالنبر على بداية هذا المشهد المألوف، والرسم الطيفي الآتي للآيات من بداية السورة حتى نهاية الآية التاسعة يوضح نبر الشيخ على هذا الموضع ــ بداية قوله تعالى ﴿وإذا الموؤدة سئلت﴾ ــ ثم متابعة هذا النبر إلى السؤال الاستنكاري بعد هذه الآية وذلك للمصاحبة والملازمة بين السؤال والمسئول عنه نتج عن هذا التلازم تقارب في نبر الشدة بين السؤال والمسئول عنه ، وبهذا يكون سؤال الموءودة قاتلها عن سبب قتلها النبر الرئيس في هذه الآيات التسع ، وذلك لاجتماع نبر الشدة مضافًا إليه نبر (المدة)الزمن ؛ حيث أدى الشيخ مشهد سؤال الموءودة قاتلها عن سبب قتلها في مدة زمنية قدره (ست ثوانٍ ، وتسعون جزءا من الثانية، وهذا أبطأ تزمين في هذه الآيات التسع، يضاف إلى الملمحين السابقين ملمح التنغيم (التردد)حيث سجل المنحنى التنغيمي صعودًا تنغيميًا على هذا المشهد ــ مشهد سؤال الموءودة قاتلها عن سبب قتلها ــ

(١) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية (١/ ٢٠٩).

فسجل (٤٨٢.٣) هرتز ، ومع أن الشيخ وقف على هذا المشهد إلا أنه آثر الوقف عليه بتنغيم صاعد باعتباره جملة استفهامية ، وبهذا يتضح أن الشيخ أولى هذا المشهد عناية خاصة فجاء نبره عليه نبرًا رئيسًا، حيث جاء عليه نبر الشدة ، وكذلك نبر المُدة (الزمن) إضافة إلى نبر التردد (التنغيم)، أي أن جميع عناصر النبر قد اجتمعت في هذا المشهد ، فالنبر الأعلى جاء على بداية مقطع هذا المشهد "والمقطع المنبور أطول من غير المنبور، أي أن المقطع المنبور أكبر زمنا ، وأبطأ تزمينًا " [١] ، إضافة إلى أن"التزمين يرتبط بالحالة النفسية للمتكلم ارتباطًا واضحًا ، فهو يكون أبطأ ما يكون في حالة الحزن" [٢] ، ولا يخفى أن الشيخ هنا قد برع في تصوير حال هذه الموءودة وقد استبد بها الحزن وسيطر عليها، فأدى هذا السؤال على لسانها بتزمين أبطأ لبيان مدى شناعة فعلتهم هذه ومدى وقعها على نفس هذه الموءودة التي كانت لا تملك من أمر نفسها شيئًا ، أما الآن فهو وقت الحساب والجزاء الذي بدايته هذا السؤال المستنكر المبكِّت الذي برع الشيخ في أدائه نبراً ، وتنغيمًا وتزمينًا ليس هذا فحسب ؛ بل ووقفًا أيضًا ، وكأن الشيخ بوقفته الأولى من أول السورة في هذا الموضع يصور حال الموءودة وهي تنتظر إجابة على سؤالها الذي طرحته، ويمكن أن يكون في وقف الشيخ دلالة على أن هذه العادة ــ وأد الإناث ــ توقفت بمجيء الإسلام الذي كرَّم المرأة وأنشأ لها حياة جديدة مغايرة تمامًا لحياتها في الجاهلية ، وبهذا يكون الشيخ قد استعان ببعض الملامح الأدائية التي شاركت في استحضار الصورة وجعلها ماثلة أمام الأعين، وهذا لا يمنع أن يستعين الشيخ ببعض المؤثرات التي تساعد في تجلية

---

(١) علم الصوتيات صـ٣٤٣ .

(٢) علم الصوتيات صـ٣٤٩ .

هذا النبر الرئيس ، وذلك كالاستعانة بالنبر الثانوي لتجلية وتوضيح موضع النبر الرئيس، ومن هذا نبْر الشيخ على بداية قوله تعالى ﴿وإذا البحار سجرت﴾؛ حيث بلغت الشدة فيه (٨٣.٩) ديسبل، والشيخ لجأ إلى هذا النبر الثانوي ؛ لبيان شدة هذا المشهد وفظاعته، الذي يصور البحار وقد "التهبت بالنار وذهب ماؤها وصارت تضطرم "[١] ، أي تتشقق ، وتتصدع وتتمزق طبقاتها ، فيذهب الماء ويبقى النار في البحار ،"أما كون باطن الأرض يحتوي على نار فقد أثبت البحث العلميّ ذلك، ويشهد عليه غليان البراكين وهي جبال النار" [٢] التي فى باطن الأرض، وقد أورد الحاكم في المستدرك قول النبي ***صلى الله عليه وسلم*** «***إِنَّ الْبَحْرَ هُوَ جَهَنَّمَ***» [٣] ، ومما يدل على " أن البحر غطاء جهنم قوله تعالى ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔاتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا ﴿٢٥﴾﴾ {نوح:٢٥]، فاقتضى ذلك أن دخول النار استعقب الغرق، فأما النار فإنها تحت السابعة، وقد شهد الصحابة فمن بعدهم على رؤية دخانها "[٤]، كما رُوي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بنِ عَمْرٍو أنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ***صلى الله عليه وسلم*** «***لَا يَرْكَبُ الْبَحْرَ إِلَّا حَاجٌّ أَوْ مُعْتَمِرٌ أَوْ غَازٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؛ فَإِنَّ تَحْتَ الْبَحْرِ نَارًا، وَتَحْتَ النَّارِ***

---

(١) بيان المعاني / عبد القادر بن ملّا حويش (١٣٩٨هـ)/ مطبعة الترقي – دمشق /ط ١/ ١٣٨٢ هـ- ١٩٦٥ م (١/ ١٢٤).

(٢) محاسن التأويل/القاسمي (١٣٣٢هـ)/ تج. محمد باسل عيون السود/ دار الكتب العلميه – بيروت/ط١ – ١٤١٨ هـ. (٩/ ٤١٣).

(٣) المستدرك على الصحيحين للحاكم (٤/ ٦٣٨)، وقد علق عليه الحاكم بقوله :"[التعليق – من تلخيص الذهبي] ٨٧٦٢ – صحيح..

(٤) فتوحات الوهاب بتوضيح شرح منهج الطلاب المعروف بحاشية الجمل (منهج الطلاب اختصره زكريا الأنصاري من منهاج الطالبين للنووي ثم شرحه في شرح منهج الطلاب)/ سليمان بن عمر بن منصور المعروف بالجمل (١٢٠٤هـ)/ دار الفكر/ د.ت. (١/ ٣٠).

بَحْرًا»[١] ، ففي كل هذا دلالة على أن البحر صعب كأنه جهنم، ولما كان مشهد تسجير البحار يستحق الوقوف أمامه والتفكر في حقيقة هذا التسجير تجد(الشيخ) يولي عناية فائقة لهذا المشهد فيجعل نبره الثانوي عليه ، وكأن الشيخ آثر أداءَ آخرِ مشاهدَ فناء الحياة الدنيوية في الأرض (وهو مشهد تسجير البحار) أداءً خاصًا يسترعي الانتباه، والأسماع، والأنظار وجميع حواس المتلقي ليفطن إلى استحالة المعيشة في الأرض ثانية، وبطلان الحياة في الأرض، فيوقن أن المنتهى والملجأ إلى الله ، ثم عزَّز الشيخ هذا الأداء بسوق بعض مشاهد يوم القيامة بأداء يزيد من ترهيب المتلقي، لا سيما وقد أولى مشهد سؤال الموءودة قاتلها عن سبب قتلها، فهذا مشهد من مشاهد يوم القيامة صورتُه مستحضرة في الدنيا، ومشهد تسجير البحار مشهد من مشاهد الدنيا صُوِّر بعلَم من أعلام يوم القيامة(وهو نار جهنم)، وكأن الشيخ بنبريه: الرئيس على (سؤال الموءودة)، والثانوي على (تسجير البحار)، إضافة إلى جمع كل هذه المشاهد الثمانية في نفَس واحد كل هذا ساهم في أداء الشيخ أداءً متقنًا بديعًا لا يخطف سمع المتلقي فحسب ؛ بل يجعله يعي كل ما يسمع ليدخل في قول النبي ***صلى الله عليه وسلم*** «***نَضَّرَ اللهُ عَبْدًا سَمِعَ مَقَالَتِي، فَوَعَاهَا، ثُمَّ أَدَّاهَا إِلَى مَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَا فِقْهَ لَهُ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ*** » [٢]

---

(١) البعث والنشور للبيهقي(٤٥٨هـ)/تح. الشيخ عامر أحمد حيدر/ مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، بيروت/ط١، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م /صـ ٢٦٥ .

(٢) مسند أحمد ط الرسالة (٢٧/ ٣١٨).

تعقيب على الجدول :ــ [1]

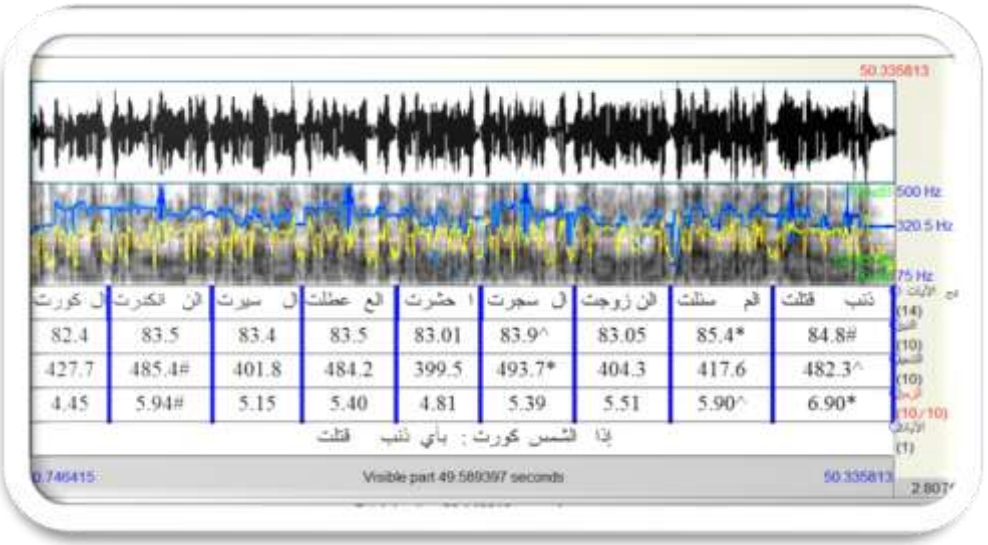

ذنب قتلت	ثم سئلت	الن زوجت	ل سجرت	ا حشرت	الع عطلت	ل سيرت	الن انكدرت	ل كورت
84.8#	85.4*	83.05	83.9^	83.01	83.5	83.4	83.5	82.4
482.3^	417.6	404.3	493.7*	399.5	484.2	401.8	485.4#	427.7
6.90*	5.90^	5.51	5.39	4.81	5.40	5.15	5.94#	4.45

ثم إن الشيخ بعد أن أنهى الوصلة الأولى من تلاوته ووقف على سؤال الموءودة قاتلها عن سبب قتلها عاد فابتدأ بقوله تعالى ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾﴾ {التكوير:١٠}، قرأها آية واحدة وحدها ثم وقف بعدها ، وكأن الشيخ بابتدائه بهذا المشهد ثم وقوفه عليه يعطي النفوس فرصة كي تفكر وتعي أن جميع ما عملت في الدنيا سيكون مشهودًا، مكشوفًا، منشورًا على رءوس الأشهاد يوم القيامة ، فكل إنسان سيؤتى صحيفته منشرة ، أي : مفتوحة مقروءة، وليست صحيفة مطوية لا يُعلم ما كتب فيها،"والنشر كناية عن سرعة اطلاعه على جميع ما عمله بحيث إن الكتاب يحضر من قبل وصول صاحبه مفتوحًا

(١) من أجل تسهيل الملاحظة على القارئ الكريم ، ميزت القيم العليا في الجدول بعلامات توضيحية، علامة (*) للدلالة على أن الشدة ، أو المدة ، أو التردد في ذلك المقطع أكثر من غيره من المقاطع ، وعلامة (#) للدلالة على أن الشدة ، أو المدة ، أو التردد في ذلك المقطع أقل من سابقه من المقاطع، وعلامة (^)للدلالة على أن الشدة ، أو المدة ، أو التردد في ذلك المقطع أقل من غيره من المقاطع.

للمطالعة والمبالغة واردة على ما يقتضيه فعل (نشر) المجرد من كون الكتاب مفتوحًا واضحًا من الصحف المتعارفة"[١] ويلاحظ أن الشيخ نوَّع في أدائه بداية من هذه الآية ، فتجده بعد أن جمع ثمانية مشاهد في نفَس واحد في بداية السورة تراه أفرد هذا المشهد وحده ــ صَحْفَ الأعمال. ونشرها ــ بنفَس واحد ، ولعل أداء الشيخ هذا يتناسب مع حدث نشر الصحف وكشفها ومعرفتها، فلم تعد خافية ولا غامضة ؛ لذا جاء نبره الرئيس في هذه الآية على حدث (نشر الصحف) ، فوقع عليه نبر الشدة ؛ حيث بلغ نبر الشيخ على هذه اللفظة (٨٢.٦) ديسبل ، وبلغ نبر الحدة (التردد) عليها (٤١٦.٩) هرتز ، وبلغ نبر المُدة(الزمن) عليها (١.٨٥) ث ، ولا شك أن الشيخ أولى هذا الحدث ــ حدث نشر الصحف ــ هذا الاهتمام ؛ لأن هذا الكشف وهذه العلنية أشد على النفوس، فكم من ذنب مستور ، وكم من زلة يخجل صاحبُها ذاتُه من ذكراها ، ثم تراها في ذلك اليوم منشورة مشهودة، كما أن هذا النشر وهذا الكشف لون من ألوان الهول في ذلك اليوم ، كما أنه علامة من علامات انقلاب الأمور؛ حيث يُكشف المخبوء ، ويفتضح المكنون في الصدور ، فكل هذا أدعى إلى يُفرد هذا المشهد في نفَس واحد .

(١) التحرير والتنوير (١٥/ ٤٨) ، (٢٩/ ٣٣١).

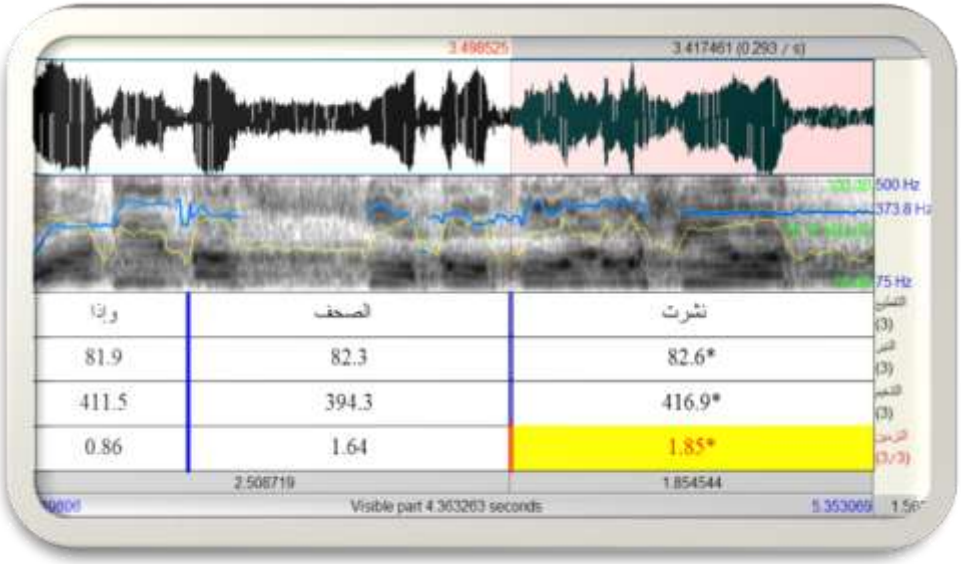

ثم واصل الشيخ أداء ما تبقى من مشاهد يوم القيامة على هـذا الـنمط الهادئ نوعًا ما ؛ حيث أفرد كل مشهد في نفَس واحد، لاسيما أن هذه المشاهد ــ مشاهد العالم الغيبي ــ تحتاج إلى تفكر وتعقل؛ لصعوبة تصور مثل هـذه الأحداث، والتي منها حدث (كشط السماء) ، بمعنى : "كشفت وأزيلـت عمـا فوقها، وهو الجنة وعرش الله، كما يكشط الإهاب عن الذبيحة، والغطاء عـن الشيء"[1] يُقصد به :" زوال هذه الصورة التي تبدو منها لنا فى الدنيا، وكأنها سقف سميك، فتبدو السماء حينئذ، وكأنها قد أزيلت من مكانها، فكانت أبوابـا مفتحة تنطلق فيها الأرواح إلى ما شاء الله من علوّ، دون أن تصطدم بشـيء يردّها.." [2] ، وهكذا تجد الشيخ صور هذا المشهد المهيب بأدائه الرائع الذي أعطى لفظة (السمـاء) كل هذه العناية الأدائية ؛ حيث وقع عليها نبر الحـدة (التنغيم) فصعد المنحنى التنغيمي عليها فسجل (٤٠٥) هرتز ، كما أوقع عليها

(١) مفاتيح الغيب (٣١/ ٦٧) .
(٢) التفسير القرآني للقرآن (١٦/ ١٤٧٠) .

نبر(المـــدة) فبلغ التزمين على هذه اللفظة (٣.٥٢) ث، فاجتمع في هذه اللفظة عنصران من عناصر النبر وهما :(نبر الحِدَّة ، ونبر المـــدة) ، فاستحقت أن تحصد التبر الرئيس في هذه الآية ، ولا عجب فالسماء جِرْمٌ عظيم هائل يضم العديد من الأسرار الكونية ، والعديد من آيات الله ، وقد ألف الإنسان وجـــود هذه القبة فوقه ، فأما أن ينظر الإنسان فلا يرى هذه القبة فوقـــه نتيجـــة لأي سبب يغير هذه الأوضاع الكونية، التي توجد بها هذه الظاهرة. فهذا يكفي أن تستحوذ هذه اللفظة على النبر الرئيس في الآية ، وكأن الشيخ بنبره الـــرئيس هذا يشير إلى أن هذا الجرم مع عظمته ومع ما فيه مـــن كواكـــب وعـــوالم لا يعلمها إلا الله لم يسلم من أهوال القيامة، فيصل الأمر بالمتلقي إلى "الاعتقاد بزوالها، والإعراض عن ربط همته بشيء منها؛ فيعلق أموره كلها بربهـــا ، وأما عن نبر الشدة فقد وقع على بداية الآية ونهايتها بالتساوي فبلغ النبر على بداية الآية (وإذا) (٨٣.١) ديسبل ، وكذلك على نهايتها (كشطت)، وكأن الشيخ بهذا النبر يصور هيئة السماء يوم القيامة وقد" قُلعت بقوة عظيمـــة وســـرعة زائدة وأزيلت عن مكانها التي هي ساترة له محيطة به، أو عن الهواء المحيط بسطحها الذي هو كالروح لها كما يكشط الإهاب عما هو ساتر له ومحيط بـــه مع شدة الالتزاق به"[(١)]، وكأنه بهذا النبر يؤكد على أن هذا اليـــوم هـــو يـــوم الكشف والإظهار لكل شيء ليس لما في الصحف فقط ؛ بل كشف كل شـــيء في الدنيا حتى السماء بعظمتها ستكشط وتُزال ، فيربط الإنسان بين ما يـــراه في الكون المشهود، وبين ما يتخيّله في اليوم المرعب، مـــن انفـــلات نظـــام الكون، وبداية نظام جديد فيذعن إلى الله ويثوب إلى رشده.

(١) ينظر / نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢١/ ٢٨١).

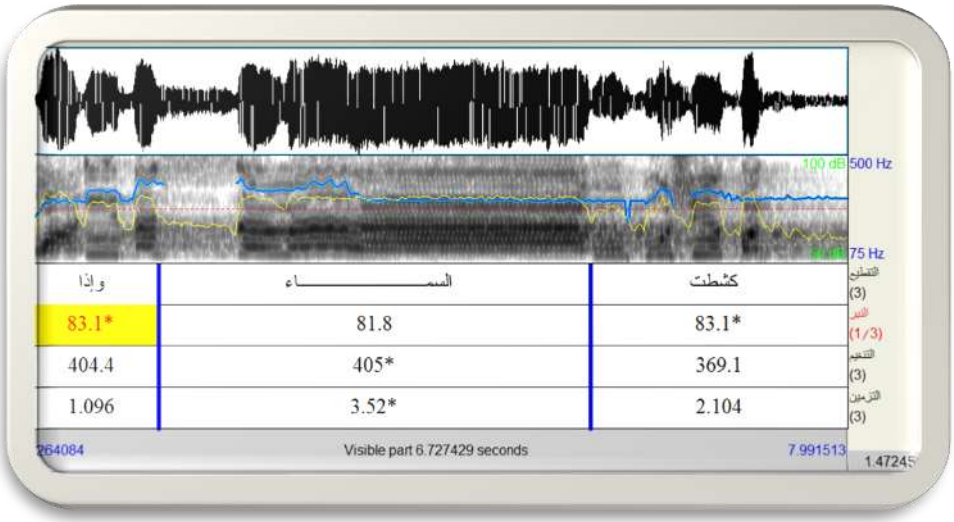

وما زال الشيخ يعرض مشاهد وأهوال يوم القيامة بهذا الأداء الهادئ ، ولكنه في هذا المشهد ازداد أداؤه هدوءًا ؛ حيث جاء النبر ، والتنغيم، والتزمين في هذه الآية بقيم أقل من قيم الآيات السابقة ، فبدا أداء الشيخ في هذا المشهد وكأنه يُشعر المتلقي بيوم الحساب والجزاء وقد أُزيلت فيه كل العوائق والموانع ، وظهرت فيه كل العجائب الغيبية والتي منها (الجحيم) ، وكأن أداء الشيخ يزيل الستار عن الجحيم المسعرة ويجعلها ماثلة أمام الأعين لترهيب كل من حاد عن طريق الحق ، والجحيم أصله:"النار ذات الطبقات من الوقود من حطب ونحوه بعضها فوق بعض، وصار علمًا بالغلبة على جهنم دار العذاب في الآخرة في اصطلاح القرآن، وتسعيرها أو إسعارها: إيقادها، أي هيئت لعذاب من حق عليهم العذاب"[1] ، وبالنظر لأداء الشيخ لهذا المشهد يتضح أن الشيخ أولى لفظة (الجحيم) عناية فائقة ؛ حيث وقع نبر الشدة على هذه اللفظة فبلغ نبر الشدة على هذه اللفظة (٧٥.٧) ديسبل ، وأما عن المنحنى التنغيمي فقد صعد المنحنى على هذه اللفظة وسجل (٣٠١.٧) هرتز،

(١) التحرير والتنوير (٣٠/ ١٥٠) .

وبهذا تحظى هذه اللفظة بالنبر الرئيس؛ لاجتماع نبر الشدة ، ونبر الحدة على هذه اللفظة ، وكأن نبر الشيخ هذا يصور حال هذه النار "الشديدة التأجج، والتي بعضها فوق بعض، والعظيمة في مهواة عميقة" [١] ، أما عن موضع النبر الثانوي في هذا المشهد فجاء على حدث (التسعير) ؛ حيث استغرق زمن هذه اللفظة (سُعِّرت) مدة (١.٩٢) ث ، ويمكن إرجاع هذا البطئ التزميني إلى وجود صامت مشدد في هذه اللفظة مما أدى إلى إطالة زمن هذه اللفظة ، وكأن في هذه الإطالة دلالة على أن هذه النار أوقدت إيقادًا شديدًا بأيسر أمر، وقربت من الكافرين الذين سيخلَّدون فيها أبدًا كما حكى قول الله تعالى ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾﴾ [المائدة:٣٧].

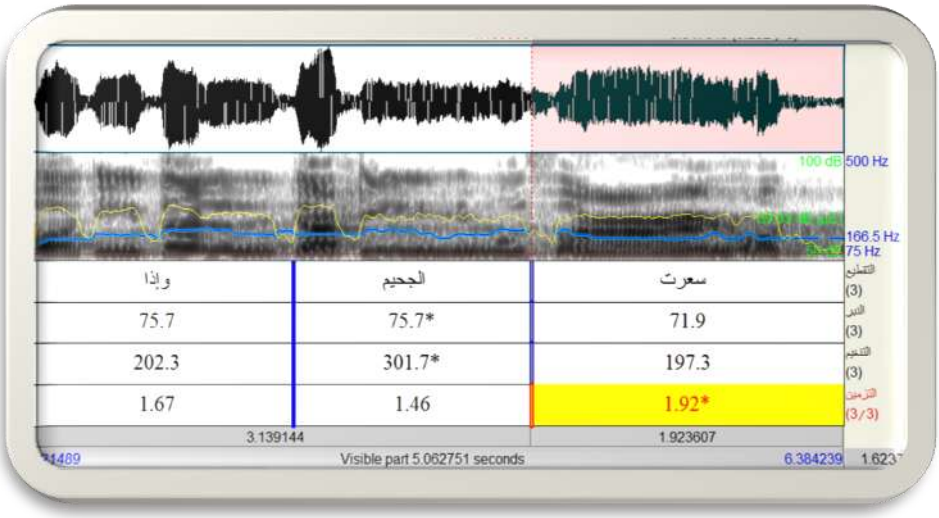

إذا كان المشهد السابق (مشهد تسعير الجحيم) قد أداه الشيخ بسرعة تزمينية بطيئة نوعًا ما ؛ حيث بلغت السرعة التزمينية لهذه الآية (٤.٨)/ ث. فإن هذا المشهد (مشهد إزلاف الجنة) كان أداؤه التزميني أشد بطئًا من سابقه؛ حيث بلغت سرعته التزمينية (٥.٥٤)/ث ، وإذا كان " التزمين هو المرآة

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢١/ ٢٨٢).

التي تعكس عواطف المتكلم وانفعالاته، فإذا كان فرحًا مسرورًا فإنه يتحدث بسرعة ، وإذا كان في موقف حماسي نطق بسرعة ثانية ، وإذا كان غاضبًا نطق بسرعة ثالثة ، وهكذا نرى ما في داخل نفس المتكلم من خلال سرعته التي ينطق بها، والتزمين مرتبط بخط المعنى ، فالكلمات التي تحمل أفكارًا مهمة ينطقها المتكلم بسرعة أبطأ من الكلمات التي لا تبلغ تلك الأهمية "[1]، وهذه الآية (إزلاف الجنة) تحمل الكثير والكثير من المعاني ؛ لذا فهي تستدعي تزمينًا أبطأ، إضافة إلى وقوع نبر الشدة على لفظة (الجنة) فبلغ نبر الشيخ على هذه اللفظة (٨٢.٣١) ديسبل، ليس هذا فحسب بل يضاف إلى ذلك وقوع نبر الحدة (التنغيم) الأعلى في هذه الآية على هذه اللفظة، فسجل المنحنى التنغيمي على هذه اللفظة (٤٠٥.٤) هرتز ، فاجتمع في هذه الآية نبر الشدة ، ونبر الحدة ، ونبر المدة ، وهذا يعني أن النبر الرئيس وقع على هذه اللفظة مما يوحي بأنها الكلمة الرأس في هذه الآية التي استأثرت بأغلب ملامح الأداء من القارئ الذي ترجم كل هذا بالتباطؤ التزميني الذي يتناسب مع ما في هذه الآية من هدوء وطمأنينة ، يتجلى في إزلاف الجنة وتقريبها للمؤمنين ، وما يستتبع ذلك من هدوء وارتياح، واستقرار نفسي ، هكذا يتطلب مقام الحديث عن الجنة ونعيمها الأبدي، الجنة التي كانت بعيدة الحصول ، أضحت مقربة للمتقين "لأنها بما فيها لا قدرة للمكلف على تحصيلها لولا فضل الله تعالى" [2] ، كما قال ***صلى الله عليه وسلم «لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الجَنَّةَ» قَالُوا: وَلاَ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: لاَ، وَلاَ أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللَّهُ بِفَضْلٍ***

(١) علم الصوتيات صـ٣٤٦ ، ٣٤٧.

(٢) مفاتيح الغيب (٢٨/ ١٤٤).

وَرَحْمَةٍ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا... » [١]، فمقام الحديث عن إزلاف الجنة يستدعي إطالة تزمينية تتمثل في الأناة والهدوء الأدائي ، وكأن هذا التزمين المتباطئ يعطي فرصة للمتلقي لتصور كيفية إزلاف الجنة، وما يكون فيها من نعيم مقيم سرمدي، ولا شك أن هذا الحديث محبب إلى النفس؛ لذا فالمقام يستدعي إطالة الحديث ؛استلذاذًا به.

هذا فيما يخص الآية الأولى ﴿ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ ﴾ [التكوير:١٣]، أما عن الآية الثانية التي أداها الشيخ في نفَس واحد مع آية (إزلاف الجنة) ، وهي الجزاء المرتب على جميع الشروط السابقة، وهي قوله تعالى ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾ ﴾ [التكوير:١٤]، أي علمت كل نفس: "ما أحضرته في صحائفها، وما أحضرته عند المحاسبة، وعند الميزان من آثار تلك الأعمال، والمراد: ما أحضرت من استحقاق الجنة والنار" [٢] وكأن الشيخ قرن جواب الشرط مع مشهد (إزلاف الجنة) ليجمع همة المتلقي، ويصرف تفكيره عن كل ما يشغله عن الوصول إلى هذه المنزلة (منزلة المتقين) ليكون في تعداد من قال الله تعالى فيهم﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ { ق:٣١ : ٣٥]، وهذا الجزاء وهذا المزيد لن يكونا إلا بإحضار أعمال صالحة تستحق هذا الجزاء العالي القدر والمنال ، وهو ما عبر عنه الشيخ بتمديد زمن هذه الآية إلى (٩,٤٧) ث ، حيث استحوذ قوله (ما أحضرت

---

(١) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه/ محمد بن إسماعيل البخاري / تح. محمد زهير بن ناصر الناصر/ دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) ط١، ١٤٢٢هـ / عدد الأجزاء: ٩ (٧/ ١٢١).

(٢) مفاتيح الغيب (٣١/ ٦٧).

على زمن قدره(٥,١٦) ث ، وعلى هذا يكون عليها نبر المدة ، ولعل أداء الشيخ الكم الزمني للمد المتصل في (مَّآ أَحضَرَتۡ) ؛ حيث استغرق وحده ثانيتين ، إضافة إلى أدائه غنة الإدغام في (نَفس مَّآ) ؛ حيث استغرقت الغنة وحدها (١,٣٥) ث ساهم في تمديد زمن هذه الآية ، كما أنه ناسب الدلالة على أن سلعة الله (الجنة) لن تُنال إلا ببذل النفس والنفيس مصداقًا لقول النبي ــ ***صلى الله عليه وسلم*** ــ «***مَنْ خَافَ أَدْلَجَ وَمَنْ أَدْلَجَ فَقَدْ بَلَغَ الْمَنْزِلَ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ***»[1] ، فيحدث التأثير النفسي المطلوب في تخويف الإنسان من اليوم الآخر، ودفعه إلى التفكير قبل معصية أوامر الله؛ لأن الأعمال ستحضر للحساب.

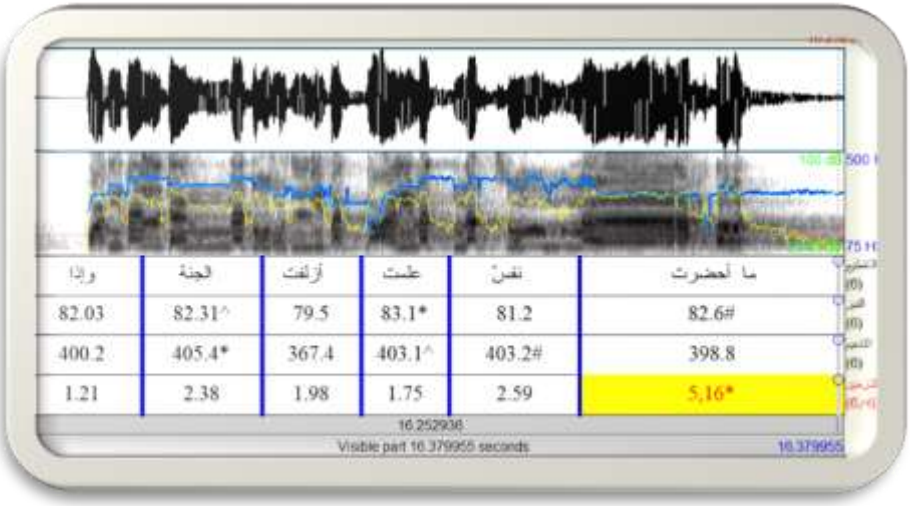

بعد أن أنهى الشيخ أداء المقطع الأول من السورة والذي تضمن أحداث يوم القيامة وأهوالها والذي جاء في صورة شرط وجوابه ، أردف ذلك أداء آيات القسم بمشاهد كونية بديعة على صدق رسول الله ــ ***صلى الله عليه وسلم*** ــ وصدق ما جاء به ، ولعله من اللافت للنظر أن الشيخ في هذا

(١) علق عليه الحاكم في مستدركه بقوله: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ "/ المستدرك على الصحيحين للحاكم (٤/ ٣٤٣).

المقطع وصَل القَسَم بجوابه (المقسم عليه) فأداهما في نفَس واحد على خلاف المقطع السابق الذي فصل فيه بين الشرط وجوابه ، وقطَّعه إلى خمس وصَلات، أما هذه الآيات الخمس فقد آثر الشيخ أداءها في نفَس واحد واصلًا بين القسم ، والمقسم عليه ، أما عن القسم في هذه الآيات فهو قسم على عظيم وهو الكواكب والنجوم ؛ إذ لولا هذه الأشياء المقسم عليها لما طابت الحياة ، ولا هنأ الناس بها ، فلا تُتصور الحياة دون الكواكب الخنس والجوار الكنس ، ولا تستقيم الحياة بليل عاسٍّ سرمدي ، دون صبح يُقبل بروحه ونسيمه، وأنسه ونعيمه ليفرج ظلمة الليل، ويمحو ظلام الليل بضيائه، كما لا تستقيم بنهار وضَّاء وضَّاح دون أن يلِجَ فيه ليل فينسخ ضياء الصبح بظلامه ليسكن فيه العباد ، ومع عِظم هذه النعم المقسم بها، وما لها من الإجلال والإعظام في أسمى مقام، إلا أنها تصغر عن أن يُقسَمَ بها أمام شيء من فضائل القرآن "لما له من عظيم الشأن الذي لا يطيق التعبيرَ عنه البيانُ، ويتضاءل دونه اللسان"[1]، يحكي هذا قول الله تعالى ﴿ ۞ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ۝٧٧ ﴾ {الواقعة/٧٥: ٧٧]، وفي هذا دلالة على عظم المقسم به وهو ما عبر عنه الشيخ (عبد الباسط) أداءً ، فقد أتقن الشيخ أداء هذا المقطع أيما إتقان ؛ حيث استهلَّ الآيات بنبر الشدة على قوله (والليل إذا عسعس) فبلغ نبر الشيخ على هذه الآية (٨٥.٧) ديسبل ، وهو أعلى نبر شدة في هذه الآيات ، يليه قوله تعالى (والصبح إذا تنفس) فبلغ نبر الشدة عليه (٨٤.٢) ديسبل ، وكأن الشيخ بهذا النبر يشير إلى عظم هاتين النعمتين على وجه الخصوص مصداقًا لقول الله تعالى ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢١/ ٢٨٦) .

ءَايَتَيۡنِ ﴾ {الإسراء:١٢} ، ثم إن الشيخ أولى قوله تعالى (الجوار الكنس) عناية فائقة في نبر الحدة ؛ حيث صعد المنحنى التنغيمي على هذه الآية وسجل (٤٨١) هرتز وهو بهذا أعلى تنغيم في هذه الآيات ، ثم ما لبث أن هبط المنحنى على قوله تعالى (والليل إذا عسعس) فسجل (٤٦٣.١) هرتز ، ثم ما لبث أن صعد ثانية على قوله (والصبح إذا تنفس) فسجل المنحنى (٤٧٥.٨) هرتز ، وكأن الشيخ بهذا التنوع التغيمي في درجة حدة الصوت يحاكي أحداث الآيات، فحركة الكواكب في سريانها وجريانها قابلَهُ بتنغيم صاعد وهو التنغيم الأعلى، وصورة عسعسة الليل وأفوله وظلامه قابلَهُ بتنغيم هابط ، ثم ما لبث أن عبر عن انقشاع هذه الظلمة بضوء الصبح ، وكأن هذا الصعود التنغيمي يحاكي تنفس الصبح وإشراقه ، ويشير إلى أن الصبح مولد حياة للأحياء جميعها، حيث تبعث الحياة من جديد فى الأحياء مع الصباح، بعد أن غشيها ظلام الليل، وحبسها عن الحركة، ثم ما لبث أن أنهى الشيخ هذا المقطع بتنغيم هابط على قوله تعالى (إنه لقول رسول كريم) يحاكي حالة الاستقرار النفسي والتسليم والإذعان بـ"حقية القرآن الكريم؛ لأن الأمر فيه غنىً عن قسم لشدة ظهوره وانتشار نوره"[1] فسجل المنحنى (٤٤٨.٤) هرتز، وهذا التنغيم الهابط في محله ؛ لأنه وقف عند تمام معنى الآيات أي بعد القسم والمقسم به .

وهذا الاستقرار والتسليم والإذعان تجلى بصورة أكثر في نبر المدة، حيث أولى الشيخ جواب القسم عناية فائقة من حيث التزمين يظهر ذلك في تمديد زمن هذا الجواب عن بقية الآيات السابقة ، فبلغ زمن جواب القسم

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢١/ ٢٨٧) .

(١١.٤) ث ، وكأن الشيخ بهذا التمديد والتطويل في زمن جواب القسم يشير إلى أن كل هذه النعم بعظمتها وجلالها تتضاءل أمام نور القرآن، وما فيه من النعيم والرضوان.

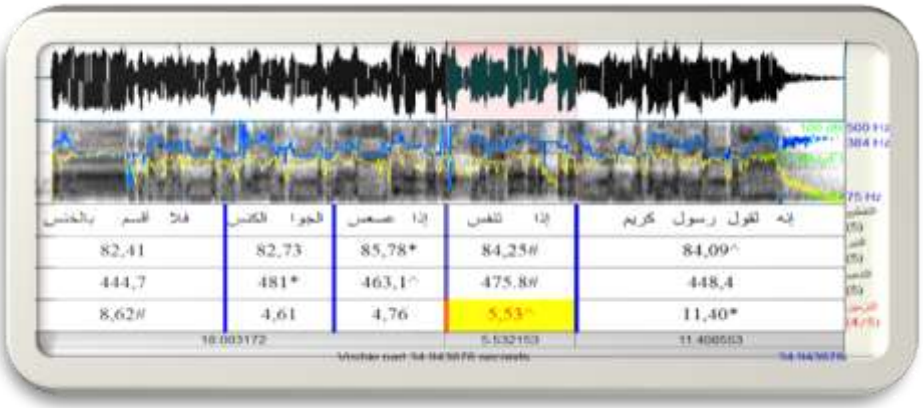

واصل الشيخ في هذا المقطع تَعداد صفات هذا الرسول الأمين الذي أنهى به المقطع السابق ، وجُلُّ المفسرين على أن المراد بهذا الرسول الأمين هو (جبريل) ــ ***عليه السلام*** ــ وهذا لا يمنع من أن يكون المراد من الرسول الأمين هو (محمد) ــ ***صلى الله عليه وسلم*** ــ ، ولكن السياق اللغوي المتمثل في لواحق هذه الآية في قوله تعالى (وما صاحبكم بمجنون) يرجح كون الرسول الأمين جبريل ***عليه السلام*** الذي يعد بمثابة سفير ملكي من الله إلى رسوله ــ ***صلى الله عليه وسلم*** ــ وهذا السفير الملكي قد اجتمعت فيه كل الكمالات اللائقة به ، وثبتت له كل المحامد، ولا عجب في ذلك فهو مؤتمن على الرسالة التي تمثلت في حمل القرآن الكريم ، وهذه رسالة يشفق من حملها كواهل الأقوياء ؛ لذا تطلب الأمر أن يكون حامل هذه الرسالة ليس (ذا قوة) فقط ، إنما هو (ذو قوة عند ذي العرش)، أي الملك الأعلى المحيط عرشه بجميع الأكوان الذي لا عندية في الحقيقة إلا له ، فقوته مستمدة من عند المليك المقتدر، مصداقًا لقوله تعالى﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ ﴾

{النجم/ ٥ : ٦] ، وهذه القوة المضاعفة عبر عنها الشيخ بوقوع نبر الشدة عليها فبلغ نبر الشيخ على قوله (ذي قوة) (٨٣.٤) ديسبل، وكأن هذا النبر يؤكد على هذه شدة القوة، ومما زاد في مضاعفة هذه القوة مجيء نبر الحدة أيضًا عليه؛ حيث سجل المنحنى التنغيمي (٤٢٧.٢) هرتز ، ثم إن هذا الرسول (مكين)، أي: "بالغ المكنة عظيم المنزلة بليغ فيها فهو بحيث لا يتأتى منه تفريط ما في إبلاغ شيء مما أرسل به لأنه لا يغيره الأحوال ولا ... شهوة له إلا ما يأمر به مرسله سبحانه وتعالى" [١] ، ولعظم منزلة هذا الرسول المكين وُصف أيضًا بأنه (مطاع) ، أي أن هذا الرسول مُطاع بين أقرانه من "الملائكة المقرّبين يصدرون عن أمره ويرجعون إلى رأيه....."[٢] ، وقد أولى الشيخ هذه الصفة تحديدًا عناية كبرى فوقع نبر الشدة الرئيس في هذه الآيات عليها ، وسجل (٨٤.٥) ديسبل ، وبهذا يكون الشيخ قد جعل هذا الوصف بمثابة الجملة الرأس ، وجعله يستأثر بنبر الشدة الأول ، وكأن الشيخ يشير بهذا النبر على هذه الصفة إلى أن هذا السفير الملكي الذي ينزل بالقرآن على سيدنا محمد كما هو مطاع من أقرانه من الملائكة المقربين، كذلك ينبغي للرسول ــ ***صلى الله عليه وسلم*** ــ أن يكون مطاعًا من أتباعه ومن يُرسل إليهم .وعلى هذا تكون هذه الآيات في محموعها بمثابة تعداد لصفات هذا الرسول الكريم السفير الملكي ، كما أن موضع نبر الشدة ، ونبر الحدة في هذه الآيات يشير إلى كرامة المرسَلِ وسموه وارتفاعه ، كما تشير إلى اعتبار الله سبحانه لمنزلة هذا الكائن الإنساني، حتى إنه يختار له هذا السفير الملكي صاحب هذه الصفات ليحمل إليه هذه الرسالة، ويبلغ الوحي إلى النبي المختار

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢١/ ٢٨٩) .

(٢) الكشاف للزمخشري (٤/ ٧١٢).

منه، وهذا اعتبار يخجل منه هذا الكائن الإنساني ، الذي لا يساوي شيئًا في ملكوت الله ، لولا أن الله- ***سبحانه وتعالى*** - تفضَّل عليه وأكرمه هذه الكرامة.

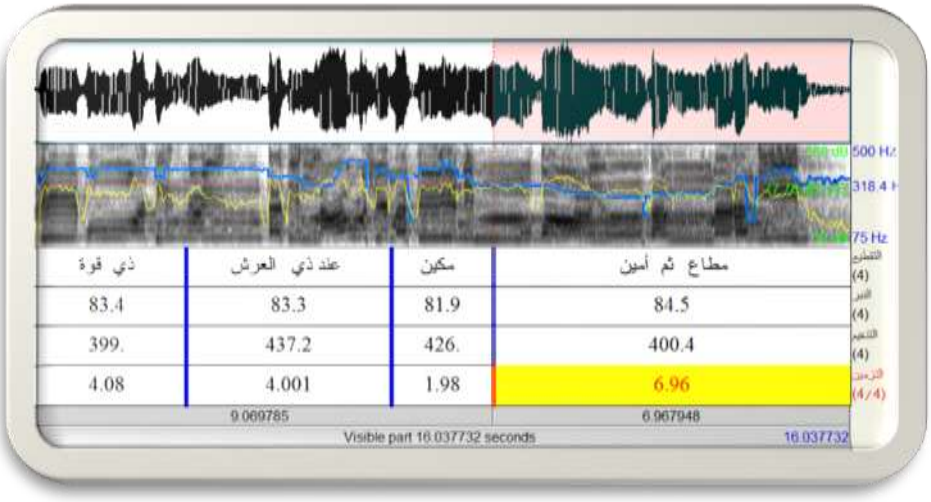

ثم انتقل الشيخ بعد ذلك إلى أداء الآية التي تنفي الجنون عن شخص الرسول الكريم محمد ــ ***صلى الله عليه وسلم*** ــ فكان أداء الشيخ لأسلوب القسم المنفي أداءً بارعًا متقنًا؛ حيث أولى الشيخ هذا الأسلوب عناية أدائية بالغة فجاء النبر على بداية الآية (وما) وسجل (٨٥.٢) ديسبل، وكأن الشيخ بنبره أداة النفي (وما) قد شارك في التأكيد على نفي صفة الجنون عن شخص الرسول الكريم محمد ــ ***صلى الله عليه وسلم*** ، الذي بلغ الغاية في الكمال حتى إنه ليس له وصف عندهم إلا الأمين ، وإذا كانت الآيات السابقة التي تصف السفير الملكي(جبريل) ***عليه السلام*** الذي حمل القول وأداه قد بلغ النبر الرئيس فيها (٨٤.٥) ديسبل على قوله (مطاع ثم أمين) فإن هذه الآية التي تنفي الجنون عن شخص النبي الكريم محمد ــ ***صلى الله عليه وسلم*** قد بلغ النبر الرئيس فيها (٨٥.٢) ديسبل ، وكأن هذا الفارق النبري يومئ إلى معرفتهم التامة الكاملة لشخص النبي الكريم محمد ــ ***صلى الله عليه وسلم***

فهم يعلمون خُلقه وعقله ويعلمون أنه ليس بمجنون، يؤيد هذا وصفه لهم إياه بالصاحب؛ إذ شأن الصاحب أن لا تخفى دقائق أحواله على صاحبه ، ثم إن الشيخ لم يكتفِ بملمح النبر الأدائي للتأكيد على نفي الجنون عن شخص النبي الكريم محمد ــ ***صلى الله عليه وسلم*** بل إنه استعان بملمح التنغيم للإغراق في تأكيد هذا النفي، فسجل المنحنى التنغيمي (٣٣٠) هرتز ، وكأن مجيء النبر والتنغيم على أسلوب القسم المنفي يزيد من حدة التبكيت والتوبيخ لهم للتناقض بين أقوالهم وأفعالهم ، فهم يصفونه زورًا وبهتانًا بالكذب والجنون من غير استحياء مع شهرته بينهم معاملة بالصادق الأمين ، وكأن الشيخ قابل هذا التناقض بين أقوالهم وأفعالهم بهذا الأداء زيادة في تشريف النبي الكريم محمد ــ ***صلى الله عليه وسلم***، ودلالة على كونه ــ ***صلى الله عليه وسلم*** أعقل العقلاء وأكمل الكملاء، وكأن هذا النفي المؤكد بالنبر والتنغيم أضفى على المعنى ملمح الثبوت والديمومة ، فهذا النفي ثابت له ــ ***صلى الله عليه وسلم*** دائمًا على سبيل الاستغراق لكل زمان، فثبت له ــ ***صلى الله عليه وسلم*** سلامة العقل ورجاحته ، وبالتالي انصرف هذا الوصف إلى القرآن نفسه من كل عيب يتقوله المتقولون عليه.

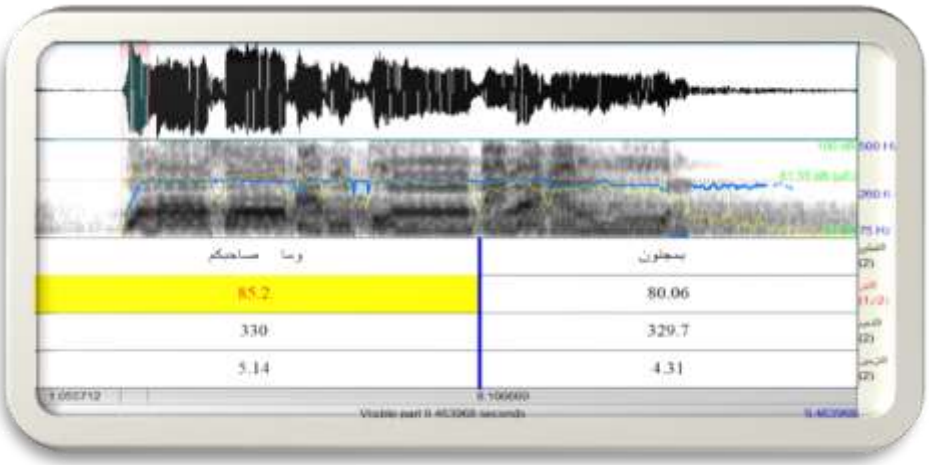

واصل التعبير القرآني الاستدلال على صدق النبي الكريم سيدنا محمد ــ ***صلى الله عليه وسلم*** فيما يبلغ عن الوحي ، فأكد هذا المعنى بالقسم على رؤيته ــ ***صلى الله عليه وسلم*** للوحي ــ ***عليه السلام*** ــ رأي العين وذلك "رفعة لشأنه ــ ***صلى الله عليه وسلم*** في رؤية ما لم يره غيره ...." [١] ، ليس هذا فحسب ، بل قيَّد هذه الرؤية بأنها كانت بالأفق المبين الواضح الذي تتم فيه الرؤية عن يقين ؛ للدلالة على حق الرؤية ، وقد ساهم الشيخ في التأكيد على هذا الحدث ــ حدث الرؤية ــ بمجيء نبره على القسم المؤكد (ولقد) فسجل (٨١,٥) ديسبل ، وكأن هذا النبر يتناسب مع التأكيد على أن هذه الرؤية كانت عين اليقين ، ولا يجوز بحال من الأحوال أن تُظن به الظنون في خبره الذي يرويه عنه، فما عُرف عنه إلا الصدق واليقين ؛ لذا زاد الشيخ في نبره على أسلوب القسم المنفي في الآية التالية (وما هو على الغيب) فبلغ نبره (٨٣,٠٢) ديسبل ، وكأن هذا الفارق النبري يزيد من حدة النفي في الآية بأن صاحبهم هذا ليس بخيلا بما يوحى إليه وما يخبر به عن الأمور الغيبية، وكأن في هذا " كنايةً عن نفي أن يكون شاعرًا أو كاهنًا أو عرافًا يتلقى الأخبار عن الجن؛ إذ كان المشركون يترددون على الكهان ويزعمون أنهم يخبرون بالمغيبات" [٢]، مصداقًا لقوله تعالى ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ {الحاقة:٤١: ٤٢] ، ثم إن الشيخ استعان بملمح التنغيم الأدائي في هذه الآية للتأكيد على أنه ــ ***صلى الله عليه وسلم*** ــ مؤتمن على الغيب، وأنه يبلغه أولا بأول، وقد عبر الشيخ عن هذه الفورية في التبليغ بالإدغام بين الباءين في قوله (الغيب بضنين)، فسجل

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢١/ ٢٩٢).

(٢) التحرير والتنوير (٣٠/ ١٦٢).

المنحنى التنغيمي صعودًا قيمته (٤٤٢,٤) هرتز، وكأن هذا الصعود التنغيمي مضافًا إليه نبر الشدة ساهما في الدلالة على زيادة كمال شخص النبي ــ ***صلى الله عليه وسلم*** ــ وقدسيته ، وقدسية ما جاء به قدسيةً في مصدره، ومكانة حامله، وصدق متلقيه، وفي كل هذا رفعة لشأن القرآن الكريم .

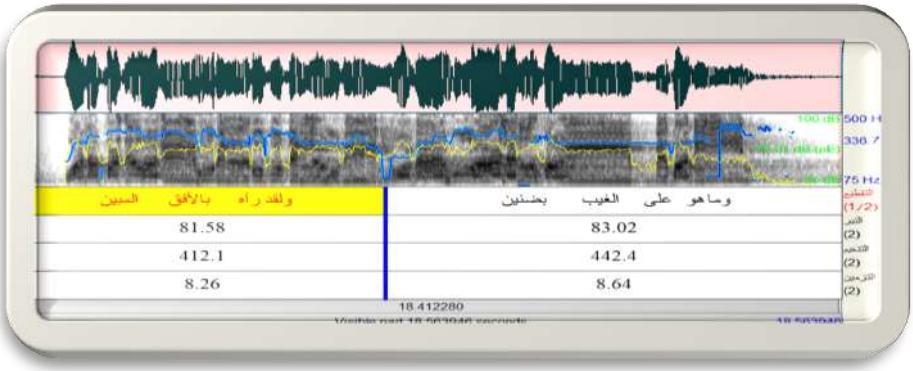

ثم زاد الشيخ في شدة أدائه تناسبًا مع تصاعد حالة النفي والإنكار في الآيات؛ حيث جاءت هذه الآية للدلالة على أن هذا القرآن من قول الله سبحانه وتعالى، الذي نقله رسول الوحي جبريل، وليس من وساوس الشيطان، ولا من مقولاته ، وعلى هذا يكون الضمير في قوله تعالى (وما هو بقول شيطان رجيم) يعود على القرآن الكريم في قول الله تعالى (إنه لقول رسول كريم) فيكون في هذا إخبار "عن الضمير بالقول الذي هو من جنس الكلام ....، فكان المخبر عنه من قبيل الأقوال لا محالة..."[1] ، فالنفي في هذه الآية منصب على القرآن الكريم، وقد ساهم الشيخ في زيادة النفي أن يكون القرآن من قول شيطان رجيم، وذلك بنبره على الضمير المنفصل (هو) الذي يعود إلى ما أقسم عليه من أن القرآن قول رسول كريم فبلغ النبر عليه (٨٤,٠٣) ديسبل، وهذه القيمة النبرية تدل على شدة عناية الشيخ في التأكيد على تنزيه القرآن الكريم من كل شين، وكأن هذا النبر على الضمير العائد على القرآن الكريم

(١) التحرير والتنوير (٣٠/ ١٦٣).

يتناسب مع علو ورفعة مكانة القرآن الكريم، وتنزهه عن أن يكون من وحي الشياطين ، فالشياطين لا توحي بهذا النهج القويم ، مصداقًا لقول الله تعالى ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ ﴾ {الشعراء/٢١٠: ٢١٢]، أي أن هذا القرآن ينبغي ألا يكون من وحي الشياطين ومن يقل بذلك فقد انصرف عن الحق القويم وضل الطريق؛ لذا أُردفت هذه الآية باستنكار ضلالهم بذهابهم هذا النهج المضل في قوله تعالى (فأين تذهبون)، وهذه الآية بمثابة " استضلال لهم كما يقال لتارك الجادّة اعتسافا ... أين تذهب، مثلت حالهم بحاله في تركهم الحق وعدولهم عنه إلى الباطل..."[(١)]، ولما كان هذا الحدث يستدعي إنكارًا وتوبيخًا لهم لإصرارهم على الباطل مع وضوح الحجج المثبتةِ أن القرآن لا يجوز أن يكون كلام كاهن وأنه وحي من الله بواسطة السفير الملكي جاء نبر الشيخ على هذا الاستفهام الإنكاري بمقدار (٨٣,٢) ديسبل ، لتعزيز معنى الإنكار وتقويته ، أي أن نبر الشيخ ساهم في زيادة الإنكار فصار إنكارًا بأداة الاستفهام ، وإنكارًا بملمح النبر الأدائي الذي ساعد بدوره في تعزيز نبرة الإنكار عليهم فيما يذهبون ويسلكون، ويجوز أن يكون الاستفهام مستعملًا في " التعجيز عن طلب طريق يسلكونه إلى مقصدهم من الطعن في القرآن، والمعنى: أنه قد سدت عليكم طرق بهتانكم؛ إذ اتضح بالحجة الدامغة بطلان ادعائكم أن القرآن كلام مجنون أو كلام كاهن، فماذا تدعون بعد ذلك، واعلم أن جملة (أين تذهبون) قد أرسلت مثلا، ولعله من مبتكرات القرآن وكنت رأيت في كلام بعضهم: أين يذهب بك، لمن كان في خطأ وعماية" [(٢)]، وعلى هذا يكون نبر الشيخ بمثابة تحدٍ لهم في قدرتهم على الطعن في القرآن الكريم أو النيل منه ، وقد ساعد في حدة هذا الأسلوب

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٧١٣).
(٢) التحرير والتنوير (٣٠/ ١٦٥).

وشدته مجيء نبر الحدة الرئيس عليه ؛ حيث صعد المنحنى التنغيمي وسجل (٤٤٥.٧) هرتز على هذا الاستفهام ، وكأن هذا الصعود التنغيمي يتناسب مع تنبيههم إلى ما هم فيه من ضلال، فيكون بمثابة إنذار لهم واستضلال لهم واستجهال على أبلغ وجه في كل ما كانوا ينسبونه إليه بحيث صار ضلالهم معروفًا لا لبس فيه؛ ليعدلوا عن هذا الطريق فإنه مضلة.

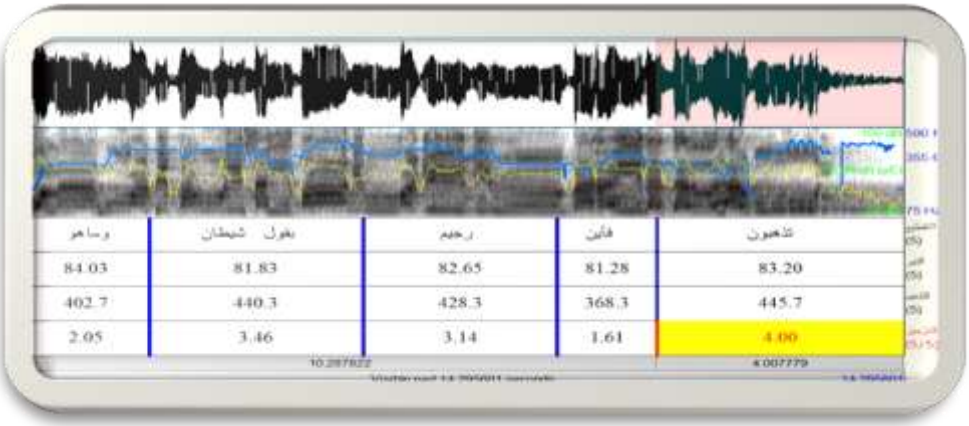

أنهى الشيخ أداء هذه السورة المباركة أداءً بارعًا يتناسب مع ما تشتمل عليه هذه الآيات من التأكيد على أن القرآن الكريم بيانٌ وهداية للخلق أجمعين، وأنه بلغ من الوضوح في هذه المسألة الحد الذي جعل الخالق جل وعلا يُتْبِع الاستفهام الإنكاري في الآية السابقة (فأين تذهبون) بهذا التأكيد دون انتظار رد منهم على طريق ذهابهم ، أو دون اقتراح طريق يذهبون إليه وكأنه بهذا يشير إلى أن كل السبل قد سُدَّت عليهم ، فجاء قوله تعالى (إن هو إلا ذكر للعالمين) للدلالة أولا على إحاطة الحق بهم من جميع الجوانب، ومن ثم تبطل جميع افتراءاتهم وادعاءاتهم، وكذلك للتأكيد على أن القرآن الكريم دعوة عالمية لجميع الناس ينتفعون به في صلاح اعتقادهم، وطاعة ربهم، وتهذيب أخلاقهم، والمحافظة على حقوقهم، وبالفعل فقد ساهم أداء الشيخ في زيادة حدة التأكيد لا سيما وقد جاء نبره على الضمير المنفصل (هو) ؛ حيث بلغ نبره

(٨٢.٧) ديسبل، وكأن نبر الشيخ هذا يتناسب مع عظم هذا الذكر وجلال قدره، وأنه ذكر يهدي للتي هي أقوم كل العالمين من الإنس والجن، وقد ساهم تنغيم الشيخ في هذه الآية على فهم الدلالة المقصودة ؛ حيث صعد المنحنى التنغيمي على قوله (للعالمين) وسجل (٤٣٠,٣) هرتز ، وكأن هذا الصعود التنغيمي على هذه العبارة المطلقة العامة الشاملة للإنس والجن فيه إشارة إلى أن هذا الذكر الحكيم قد شرُف الوجود كله بوجود مصدر الشرف، والعزة، والهداية بينهم فمن شاء الهداية والاستقامة اتبع هذا النور القويم، ومن اتبع هذا الذكر فهو على الطريق المستقيم ، الذي لا اعوجاج فيه، وقد عبر الشيخ عن شدة استقامة طريق هذا الذكر بصعود المنحنى التنغيمي على قوله تعالى (أن يستقيم) فسجل المنحنى (٤٣٩,٨) هرتز ، ولكن هذه الاستقامة مرهونة بمشيئة رب العالمين، فإن العبد لا يعمل خيرًا إلا بتوفيق الله تعالى رب العالمين ؛ لذا أولى الشيخ عبارة (رب العالمين) عناية فائقة فجاء عليها نبر الشدة ، ونبر الحدة ، فبلغت قيمة النبر عليها (٨٢,٩) ديسبل ، وسجل المنحنى التنغيمي صعودًا قيمته (٤٤٥,٥) هرتز ، إضافة إلى نبر المدة حيث جاء تزمين الشيخ في هذه الآية تزمين بطيء مقداره (٢٠,٢) ث ، وكأن هذا التزمين المتباطئ المتمثل في هذا الأداء الهادئ المستقر المطمئن ، يتناسب مع مقام التهدئة من روع المصطفى ــ ***صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم*** ــ وتسكين فؤاده ، وهذا ما دلت عليه الآية الأولى التي جاءت موجزة مركزة وكأنها بمثابة تعقيب بالقول الفصل بأن القرآن ذكر للعالمين وليس بقول ساحر ولا شاعر ولا كاهن، كما أنها إبطال لقولهم: إنه لمجنون لأنهم قالوه في سياق تكذيبهم بالقرآن فإذا ثبت أن القرآن ذِكْرٌ بَطَلَ أن يكون مُبلِّغه مجنونًا، والذكر

لا يقوله مجنون، ولا يحمله مجنون ، إنه مصدر هداية لمن شاء رب العالمين هدايته ، هكذا بكل ثقة، وهدوء ، وثبات .

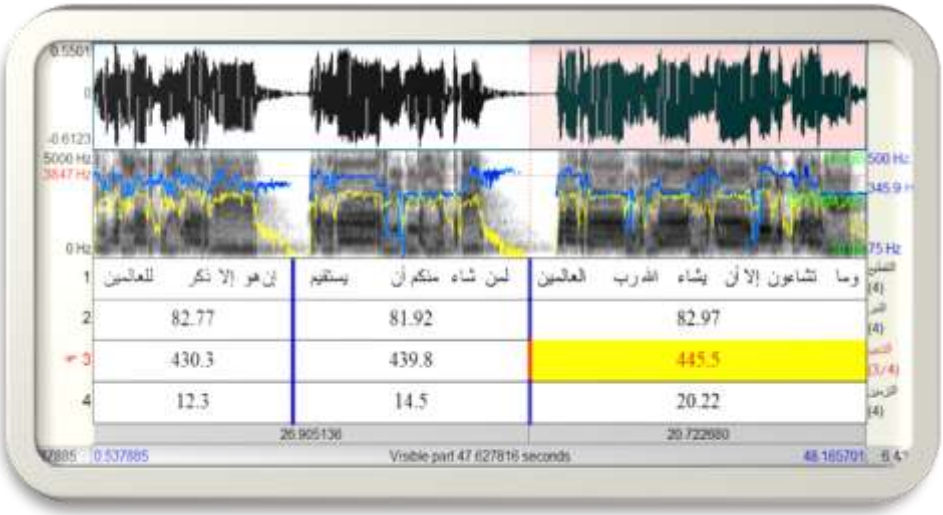

▪ الخاتمة:▪

بعد هذه التطوافة الماتعة للغة القرآن في سورة (التكوير) تمخضت هذه الدراسة عن عدة نتائج من أهمها:

ــ أظهرت الدراسة النصية للغة القرآن في سورة التكوير على المستوى الصوتي ما يأتي :

ــ تميزت اللغة الصوتية للقرآن الكريم على مستوى (سورة التكــوير) بانتقاء الأصوات التي تتفق مع دلالة السورة، وإذا كانت أغلب موضــوعات هذه السورة تدور حول مشاهد يوم القيامة بشدتها وأهوالهــا كــان لزامــا أن يناسب هذه المشاهد صوت (الهمزة) الذي ورد في هــذه الســورة المباركــة (أربعًا وثلاثين) مرة، فلا تكاد تخلو آية من آياتها التسع والعشرين من هــذا الصوت القوي عدا خمس آيات خلت من صوت (الهمزة)، فهذا الصوت ورد في الآيات بنسبة (٨٢.٧)% من إجمالي عدد آيات السورة ، وهــذه الوقفــة الحنجرية الانفجارية تتناسب تمام التناسب مع تصوير حال الخلائــق يــوم القيامة حال رؤيتهم مشاهد وأهوال يوم القيامة الموجبة للخوف، وما يحــدث لهم من خوف وفزع تكاد ينخلع له القلوب إلى الحناجر من هول ما ترى.

ــ كذلك تميزت اللغة القرآنية في سورة التكــوير باســتخدام الصــوت المضعف والصوت المكرر واستخدامه وسيلة لتصوير المشاهد بمــا تشــيعه هذه الأصوات بجرسها الصوتي من وضوح يبرز المعنى المراد .

ــ أما على مستوى فواصل آيات سورة التكوير فــإن اللغــة القرآنيــة الصوتية آثرت الأصوات التي تتلاءم مع موضوع الآيات كاختيار صــوت التاء ذي الوجهين الذي يتناسب بشدته مع شدة أهوال يوم القيامة كما أن هذا الصوت بهمسه وضعفه يتناسب مع حالة ضعف الخلائق في هذا اليوم وما يحدث لهم من مفاجآت .

وكذلك آيات فاصلة صوت (السين) الذي يتناسب مع حالة الضعف والانقياد التامة التي تكون عليها تلك المخلوقات (الكواكب ، والليل ، والنهار) إضافة إلى حالة السلاسة والطواعية التي تمثلها صفة الرخاوة في صوت (السين) .

وأخيرا آيات فاصلة صوت (النون) الأغن الخيشومي بعمق مخرجه الذي يتناسب مع أصالة النبي محمد ـ ***صلى الله عليه وسلم*** ـ وتمكنه ورسوخه في وصف الكرم، والصدق، والأمانة في تبليغ الوحي.

ـ وأما على مستوى اللغة القرآنية المقطعية في سورة (التكوير) فلا يخفى حالة الانسجام والتناغم المقطعي للصيغ الأربع(فُعِلت ، فُعَّل ، فَعْلل ، تفعَّل) التي تتألف جميعها من مقطعين متوسطين مغلقين (ص ح ص) إضافة إلى مقطع قصير (ص ح) في كل من الصيغة الأولى والأخيرة .

ـ تميزت اللغة القرآنية في سورة التكوير باستخدام القالب الصوتي المقطعي المكرر المتمثل في هذا التساوي المقطعي بين الوحدات الصوتية في المقطع الفاصلي(ص ح ص) (رَتْ، لَتْ، جَتْ، طَتْ، فَتْ)، والذي يتكون من صوت (الفاصلة التاء) يسبقه صامت مفتوح يبدأ بصوت (الراء ، ثم اللام، ثم الجيم ، ثم الطاء ، ثم الفاء ، وأخيرًا الراء) فقد تساوت جميع المقاطع الفاصلية حتى صار لها إيقاعٌ متساوٍ سريع الحركة اشترك في استحضار الصورة وتمثيلها للخيال .

ـ تميزت اللغة القرآنية في سورة التكوير باستخدام المقاطع المغلقة في مواضع الشدة والحزم والتهويل .

ــ وأما على المستوى الصرفي فقد تميزت اللغة القرآنية الصرفية في سورة التكوير بما يأتي :

ــ التعبير عن هذه المشاهد التي لم تقع بعدُ بالأفعال الماضية ؛ لأن كل هذه الأفعال محققة نزلت منزلة الكائنة الموجودة ، فعبر عنها بلفظ الماضي في معنى المستقبل في الآيات التي تحكي الحال المنتظرة يوم القيامة.

ــ إيثار صيغة الفعل المبني للمفعول وفي هذا تركيز للاهتمام بالحدث، بصرف النظر عن مُحدِثه .

ــ البنية الصرفية لهذه السورة المباركة قد تنوعت بحسب تنوع المشاهد، فآيات أهوال القيامة ناسبها التعبير بصيغة المبني للمفعول المتمثل في صيغتي (فُعِّلَتْ، وفُعِلَتْ)، وآيات القسم بمشاهد كونية تدل على عظمة الخالق وتفرده بالوحدانية ناسبها التعبير بصيغ (فُعَّلْ، وفعْلَلَ، وتفَعَّل)، ومشاهد القسم على كون القرآن الكريم قول رسول كريم ناسبه التعبير بصيغة الصفة المشبهة (فعيل) ، وقد تضافرت هذه الصيغ جميعها في إحداث حالة من الانسجام والتواؤم والإيقاع في البنية الصرفية للسورة بصورة تؤثر في المتلقي .

ــ وأما عن اللغة القرآنية التركيبية في سورة (التكوير) فقد تميز النسق التركيبي لهذه السورة إلى أربعة أنساق، وهي :(الشرط ، والقسم ، والاستفهام، والنفي) .

ــ آثر التعبير القرآني الإكثار من الجملة الشرطية ــ التي تفيد ترتيب الجواب على الشرط ــ في هذه السورة والمصدرة بـ(إذا) للدلالة على تيقن الحدوث أولا ، إضافة إلى تماسك هذه المشاهد وترابطها مع بعضها البعض وترتبها على بعضها لأن الظرف يستدعي متعلقًا، ويؤذن بذكر جواب بعده،

فإذا سمعه السامع ترقب ما سيأتي بعده فعندما يسمعه يتمكن من نفسه كمال تمكن.

ـ كذلك مما تميزت به اللغة القرآنية التركيبية في سورة التكوير ورود أسلوب الاستفهام للدلالة على التعريض بكذبهم وضلالهم في معرض التقريع، والتحقير، والتهوين، والتقليل من شأنهم.

ـ كما آثر التعبير القرآني أسلوب القسم على هذا الشكل (لا أقسم) وذلك لأن المقام مقام تعريض بالقسم فليس المقصود وقوع القسم ذاته؛ وذلك لأن الأمر الواقع فى معرض القسم أظهر من أن يحتاج إلى توكيد وجوده بقسم ، فالله تعالى يتحدث في مقام القسم بهذا الأسلوب؛ تأكيدًا للثقة في قدرته التي لا تحتاج معها إلى يمين.

ـ أما عن أسلوب النفي فإن التعبير القرآني آثر أسلوب النفي (بما) للتأكيد على أن محمدًا – ***صلى الله عليها وسلم*** – هو الذي تلقَّى الوحي عن جبريل ـ ***عليه السلام*** ـ كما أمره ربه ـ جل وعلا .

ـ أما عن لغة الخطاب القرآني الأدائي في سورة التكوير فإن الشيخ (عبد الباسط) قد أبدع وتفنن في أداء هذه السورة بمشاهدها أيما إبداع وتفنن؛ حيث يمكن القول إن أداءه يعد أنموذجا متبعًا ، وهذا يفسر اختصاصه بطريقة فريدة لأداء هذه السورة عن جدارة ؛ حيث إنه عايش المشاهد ونقلها أمام المتلقي ، وهذا لا يتأتى إلا عن طريق فهمه للنص القرآني وأدائه له كما ينبغي ، يتجلى هذا في :

ـ استخدام الشيخ ملمح (الإيقاع) في أدائه من ذلك جمعه ثمانية مشاهد في نفس واحد للإشارة إلى حشد هذه المشاهد وحصولها معًا في وقت واحد إضافة لبيان تلاحق هذه المشاهد .

ــ استخدام الشيخ ملمح الوقف في أدائه استخدامًا يتناسب مع الدلالة ، لا سيما وقفته الأولى بعد قوله تعالى(بأي ذنب قتلت) ، وكأنه يصور حال الموءودة وهي تنتظر إجابة على سؤالها الذي طرحته، ويمكن أن يكون في وقف الشيخ دلالة على أن هذه العادة ــ وأد الإناث ــ توقفت بمجيء الإسلام الذي كرَّم المرأة وأنشأ لها حياة جديدة مغايرة تمامًا لحياتها في الجاهلية.

ــ استخدام الشيخ ملمح (النبر) سواء أكان رئيسًا أم ثانويًا لتعزيز دلالات معينة، من ذلك مجيء نبر الشدة على قوله (وإذا الجحيم) ، وكأن هذا النبر يزيل الستار عن الجحيم المسعرة ويجعلها ماثلة أمام الأعين لترهيب كل من حاد عن طريق الحق ، ويصور حال هذه النار الشديدة التأجج .

ــ يضاف إلى ذلك استخدام الشيخ ملمح (التنغيم) لا سيما صعود تنغيمه على الجمل الاستفهامية يتجلى ذلك في أدائه قول الله تعالى (فأين تذهبون) ، وكأن هذا الصعود التنغيمي يتناسب مع تنبيههم إلى ما هم فيه من ضلال، فيكون بمثابة إنذار لهم واستضلال لهم واستجهال على أبلغ وجه في كل ما كانوا ينسبونه إليه بحيث صار ضلالهم معروفًا لا لبس فيه؛ ليعدلوا عن هذا الطريق فإنه مضلة .

ــ كذلك استخدم الشيخ ملمح التزمين إطالة أو قصرًا تماشيًا مع دلالة الآيات من ذلك مجيء تزمين قوله تعالى(سعرت) بطيئًا، ويمكن إرجاع هذا البطئ التزميني إلى وجود صامت مشدد في هذه اللفظة مما أدى إلى إطالة زمن هذه اللفظة ، وكأن في هذه الإطالة دلالة على أن هذه النار أوقدت إيقادًا شديدًا بأيسر أمر، وقربت من الكافرين الذين سيخلَّدون فيها أبدًا.

ــ وإذا كان الحديث عن الجحيم تطلب من الشيخ تبطيئًا تزمينيًا فإن الحديث عن الجنة ونعيمها يستدعي تزمينًا أبطأ وهذا ما فعله الشيخ في أدائه قول الله تعالى (وإذا الجنة أزلفت)، فهذا التباطؤ التزميني يتناسب مع ما في هذه الآية من هدوء وطمأنينة ، يتجلى في إزلاف الجنة وتقريبها للمؤمنين ، وما يستتبع ذلك من هدوء وارتياح، واستقرار نفسي، هكذا يتطلب مقام الحديث عن الجنة ونعيمها الأبدي.

*ـ فهرس المصادر والمراجع :ـ

ـ الأسلوبية الصوتية في القرآن الكريم (الإيقاع) صالح زيدور/ إشراف/ د أحمد بن عجمية/ جامعة أحمد بن بلة ـ وهران (الجزائر).

ـ الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق / عائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ (١٤١٩هـ) / دار المعارف الطبعة: الثالثة .

ـ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز /الفيروزآبادى / تح. : محمد علي النجار المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة / عام النشر: جـ ١، ٢، ٣: ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م جـ ٤، ٥: ١٤١٢هـ – ١٩٩٢ م / جـ ٦: ١٣٩٣ هـ – ١٩٧٣ م .

ـ البعث والنشور للبيهقي(٤٥٨هـ)/تح. الشيخ عامر أحمد حيدر/ مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، بيروت/ط١، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م.

ـ بيان المعاني / عبد القادر بن ملّا حويش (١٣٩٨هـ)مطبعة الترقي – دمشق /ط ١/ ١٩٦٥ م .

ـ التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (١٣٩٣هـ) / الدار التونسية للنشر – تونس/ سنة النشر: ١٩٨٤ هـ .

ـ تداخل الأصول اللغوية وأثره في بناء المعجم/عبد الرزاق بن فراج الصاعدي / عمادة البحث العلمي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة،ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

ـ التفسير البياني للقرآن الكريم / بنت الشاطئ / دار المعارف – القاهرة الطبعة: السابعة .

ـ التفسير القرآني للقرآن / عبد الكريم/ يونس الخطيب (١٣٩٠هـ) / دار الفكر العربي – القاهرة / ١٣٨٦ هـ = ١٩٦٧ م.

ـ توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك/ بدر الدين حسن بن قاسم المالكي (٧٤٩هـ) تح. / عبد الرحمن علي سليمان / دار الفكر العربي/ط١، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٨م.

ـ الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه / البخاري الجعفي / تح. محمد زهير بن ناصر الناصر / دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) / ط١، ١٤٢٢هـ / عدد الأجزاء: ٩

ـ الجدول في إعراب القرآن الكريم / محمود بن عبد الرحيم صافي (١٣٧٦هـ)/ دار الرشيد، دمشق – مؤسسة الإيمان، بيروت / ط٤، ١٤١٨ هـ .

ـ جمهرة اللغة /ابن دريد/ دار العلم للملايين– بيروت/ الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م.

ـ الجنى الداني في حروف المعاني / المرادي المصري المالكي (٧٤٩هـ) تح: د فخر الدين قباوة –الأستاذ محمد نديم فاضل / دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان / ط١، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م .

ـ خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية / عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني (١٤٢٩هـ)/ مكتبة وهبة/ ط١، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م .

ـ دراسة صوتية صرفية تركيبية لسورة التكوير" مذكرة تخرّج لنيل شهادة ليسانس في الأدب العربي ـ جامعة أبي بكر بلقايد* تلمسان* الملحقة الجامعية (الجزائر) قسم اللغة والأدب العربي/ إعداد الطّالب عبدالفتّاح شقراني/إشراف الأستاذة: حورية مرتاض (٢٠١٤م ١٤٣٦هـ) .

ـ دراسات في علم اللغة/ كمال بشر/ دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.

ـ شذا العرف في فن الصرف/ الحملاوي تح.نصر الله عبد الرحمن نصر الله /مكتبة الرشد الرياض.

ـ شرح الأشموني على ألفية ابن مالك/ علي بن محمد الأُشْمُوني الشافعي (٩٠٠ه) دار الكتب العلمية بيروت– لبنان/ ط١ ١٤١٩هـ– ١٩٩٨م/ عدد الأجزاء: ٤.

ـ شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك/ تح. محمد محيي الدين عبد الحميد / دار التراث – القاهرة، دار مصر للطباعة ، سعيد جودة السحار وشركاه / الطبعة : العشرون ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠ م.

ـ شرح التصريح على التوضيح خالد بن عبد الله الأزهـري (٩٠٥هـ) / دار الكتب العلمية -بيروت-لبنان /ط١/ ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م .
ـ شرح شافية ابن الحاجب / ركن الدين الإستراباذي تح. د.عبد المقصود محمد عبد المقصود ط. مكتبة الثقافة الدينية / ط ١ / ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.
ـ شرحان على مراح الأرواح في علم الصرف / شمس الدين أحمد المعروف بدنقوز (٨٥٥هـ) / شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر/ ط٣، ١٣٧٩هـ - ١٩٥٩ م.
ـ الصوت اللغوي في القرآن / د. محمد حسين علي الصغير / دار المؤرخ العربي ـ بيروت ـ لبنان / ١٤٢٠ هـ ـ ٢٠٠٠ م. صـ٢٠٤ .
ـ علم الأصوات/د.كمال بشر/دار غريب للطباعة والنشر/القاهرة /١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.
ـ علم الصوتيات د. / عبد العزيز علام ، د.عبد الله ربيع / مكتبة الرشد /١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩ م
ـ فتوحات الوهاب بتوضيح شرح منهج الطلاب المعروف بحاشية الجمل (منهج الطلاب اختصره زكريا الأنصاري من منهاج الطالبين للنووي ثم شرحه في شرح منهج الطلاب)/ سليمان بن عمر بن منصور المعروف بالجمل (١٢٠٤هـ)/ دار الفكر/ د.ت.
ـ الكتاب / لسيبويه / تح. عبد السلام محمد هارون / مكتبة الخانجي، القاهرة / ط٣ / ١٩٨٨ م.
ـ كتاب العين /أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو الفراهيدي البصري (١٧٠هـ) / تح. د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي / دار ومكتبة الهلال.

ـ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل / أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (٥٣٨هـ) / دار الكتاب العربي بيروت / ط٣ / عدد الأجزاء: ٤/ ١٤٠٧ هـ .

ـ قوة اللفظ لقوة المعنى في القرآن الكريم دراسة تحليلية / أ . د. أحمد علي محمود ربيع / بحث منشور في حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات ـ بني سويف / العدد الأول /١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨ م / مكتبة دار العلم ـ الفيوم.

ـ اللغة جوزيف فندريس / تعريب: عبد الحميد الدواخلى، محمد القصاص/ مكتبة الأنجلو المصرية.

ـ لغة الخطاب السياسي ـ دراسة لغوية تطبيقية في ضوء نظرية الاتصال / د. محمود عكاشة .

ـ اللغة وعلم اللغة / جون ليونز/ دار النهضة العربية / ط١.

ـ محاسن التأويل/القاسمي تح. محمد باسل / دار الكتب العلميه – بيروت/ط١ – ١٤١٨ هـ.

ـ المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي / د. رمضان عبد التواب / مكتبة الخانجي بالقاهرة /ط ٣/ ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

ـ المستدرك على الصحيحين للنيسابوري (٤٠٥هـ)/ تح. مصطفى عبد القادر عطا/ دار الكتب العلمية – بيروت/ط١، ١٤١١ – ١٩٩٠.

ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل / تح. شعيب الأرنؤوط /مؤسسة الرسالة ط١، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١ م.

ـ المصنف للصنعاني/تح. حبيب الرحمن الأعظمي/ المجلس العلمي– الهند/ ط٢، ١٤٠٣ ه.

ـ معاني الأبنية د. فاضل صالح السامرائي / ط٢ / دار عمار للنشر والتوزيع / ٢٠٠٧م.

ـ المعجم الوسيط / مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى/ محمد النجار)/ دار الدعوة .
ـ مفاتيح الغيب للرازي (٦٠٦هـ) / دار إحياء التراث العربي – بيروت / ط٣ – ١٤٢٠ هـ .
ـ مقاييس اللغة /أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (٣٩٥هـ) تح: عبد السلام محمد هارون / دار الفكر/عام النشر: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
ـ الممتع الكبير في التصريف/ابن عصفور (٦٦٩هـ)/ مكتبة لبنان/ط١، ١٩٩٦م.
ـ من بلاغة القرآن/أحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي/ نهضه مصر – القاهرة / ٢٠٠٥ .
ـ نبر الاسم الجامد والمشتق دراسة فيزيائية نطقية/ أحمد سلامه الجنادبة ـ دراسات لغوية/ جامعة العلوم الإسلامية العالمية ـ عمان ـ ٢٠١٤م .
ـ النحو الوافي/ عباس حسن (١٣٩٨هـ)/ دار المعارف/ط١٥.
ـ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور / إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي ابن أبي بكر البقاعي(٨٨٥هـ)/ دار الكتاب الإسلامي، القاهرة / عدد الأجزاء: ٢٢.
ـ همع الهوامع في شرح جمع الجوامع / السيوطي (٩١١هـ) / تح. عبد الحميد هنداوي المكتبة التوفيقية – مصر.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

*ـ فهرس الموضوعات :

م	الموضوع	الصفحة
١-	ملخص	١٥٤٤
٢-	Abstract	١٥٤٥
٣-	المقدمة	١٥٤٦
٤-	ـ المبحث الأول: لغة النص القرآني في سورة (التكوير)	١٥٥٤
٥-	المطلب الأول : لغة النص القرآني في سورة (التكوير) على المستوى الصوتي (فواصل السورة)	١٥٥٤
٦-	ـ المطلب الثاني :لغة النص القرآني في سورة (التكوير) على المستوى الصرفي (إيقاع الصيغ)	١٥٦١
٧-	المطلب الثالث: لغة النص القرآني في سورة (التكوير) على المستوى التركيبي	١٥٧٧
٨-	ـ المبحث الثاني: لغة الخطاب القرآني في سورة (التكوير) على المستوى الأدائي	١٥٨٨
٩-	الخاتمة	١٦١٥
١٠-	فهرس المصادر والمراجع.	١٦٢١
١١-	فهرس الموضوعات .	١٦٢٦

بحمد الله تعالى